المولد النبوي

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

عدد ممتاز

الخميس ٩ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ - ٨ يوليو ١٩٦٥ م

رئيس التحرير :
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ـ ١١٢١ ـ الخميس ٩ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ ـ ٨ يوليو ١٩٦٥ م ـ السنة الثانية والعشرين



شهر ربيع الأول في حياة الرسول

بقلم: أحمد حسن الزيات

من الموافقات العجيبة فى حياة الرسول صلوات الله عليه أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر ، وان يوم الاثنين كان يومه من بين الأيام .

فيوم الاثنين من الأسبوع الثانى من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله فى مكة ، ويوم الاثنين من الأسبوع الثانى من شـــهر ربيع الأول كان يوم هجرته الى المدينة ، ويوم الاثنين من الأسبوع الثانى من شـــهر ربيع الأول كان يوم انتقاله الى الرفيق الأعلى . ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصـطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه برسالته .

ومن همسات هذا السر أن شهر ربيع الأول هو شهر اليمن والخصب والجمال فى العام ، وأن يوم الاثنين هو يوم القمر عند القدامى ، وللقمر شـان مذكور فى الاسلام . فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والملة والدولة . وعلاقة الأقدار والحظوظ بالفصـول والبروج والأيام لاتزال من الأسرار المغيبـة فى فطرة الانسان . فلو أن شهر ربيع الأول جعل بدءا للسنة الهجرية ، وان يوم الاثنين جعل يوما للراحة الأسبوعية ، لكان ذلك متفقا مع تاريخ الهجرة ، وجلالة الذكرى ومكانة الرسول ، وقداسة الشهر .

* * *

ففى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول للسنة الثالثة والخمسين قبل الهجرة كان الفضاء الرحب الصافى بين بيت ابراهيم بالمسجد الحرام ، ودار السيدة آمنة بشعب بنى هاشم بمكة ، مسبحا لأجنحة الملائكة ومسبحا لأرواح الأنبياء ، يحمدون الله ويشكرونه على أن تدارك الخليقة من جديد ، باستهلال هـذا العربى الوليد . وكان العـالم قبل مولد محمد بن عبد الله يضطرب فى الباطل ، ويتخبط فى الضلال ، ويتبسط فى المنكر :

كبهيمة عميـاء قاد زمامهـا   أعمى على عـوج الطريق الأعوج

كان يسوق هذه البهيمة من الشرق الفرس على ما هم فيه من انحلال وفساد ، ويقودها الى الغرب الروم على ما هم عليه من اباحية وفسـوق . وكان ايوان كسرى وبلاط القيصر يتنازعان الولاية على الأرض بالكفران والطغيـان والقهر . فلما قام بينهما فى مكة مهد العربى اليتيم هزته يد الله فتصدع لهزته الايوان ، وتطامن لهيبته القصر ، وهتف بالعاهلين العظيمين من جانب الغيب هاتف يقـول : اليوم ينتهى تاريخ ويبتدىء تاريخ . ليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد ، انما العبـادة لله ، والقيادة للرسول ، والسيادة للدين ، والحكومة للعرب ، والدنيا للجميع !

ثم درج يتيم الأبوين فى دروب مكة وشعابهـا وأوديتها يتمرس بالحياة على أسلوب قريش ، فرعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، ثم اتجر بمال زوجه • وكانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة • عاله وهو يتيم فقير ، وكفله وهـو راع صغير ، ووفقه وهو تاجر أجير • ثم شاء الله لأمر يريده أن يصتنعه على عينه ، فأدبه بأدبه ، وعلمه ، من علمه ، وعصـــمه من أرجاس الوثنيـة وأوزار الجاهلية ، فلم يشرب الخمر ، ولم يأكل الربا ، ولم يلعب الميسر ، ولم يشهد اللهو ، ولم يعن وجهـه لصنم ، حتى صار اليتيم العديم سيدا للجزيرة ، والراعى الصغير راعيا للعالم ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض • والطاهر النزيه مهيـا لتلقى الوحى وتبليغ الرسالة •

وحينئذ انفتح باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب محمد • فهبط الصادق الأمين من فوق جبل النور يحمل المصباح بالهدى ، ويحمل على الشرك بالتوحيد ، ويحتمل فى سبيل الدعوة الى الله أذى أئمة الكفر من قريش •

***

وفى يوم الاثنين الثامن من شهر ربيع الأول للسنة الأولى من حادثة الفيل كان أذى قريش لرسول الله قد بلغ حد الائتمار به ليقتلوه ،وكان صلوات الله عليه قد رأى قفار مكة المشركة قد نبت على غرس الدعوة فلم يخرج نباته الا نكدا توشك السموم أن تأتى عليه ، فهاجر به تحت عين الله الى البلد الطيب الذى اختاره الله ليكون قاعدة لصرحه وحقلا لغرسه ومجمعا لقوته ومنارا لهداه • وهنالك بالصبر والصـــدق والايمان والثبات والجهـاد والخلق والرجولة ، أثمر الغرس وتم النور واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة فصارت المدينة دنيا ، والقلة ملة ،والقرى الثلاث وهى مكة والطائف ويثرب قارات ثلاثا هى آسيا وافريقيا وأوروبا • وأصبح الاســلام الذى بدأ بخديجة وعلى وأبى بكر وزيد دين الناس ودنيا العالم ، يقف به فى آخر المغرب عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسى يقول وقد خوض جواده فى الماء : « اللهم رب محمد ! لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى سبيل اعلاء كلمتك • اللهم اشهد ! » ويتجه به الى آخر المشرق

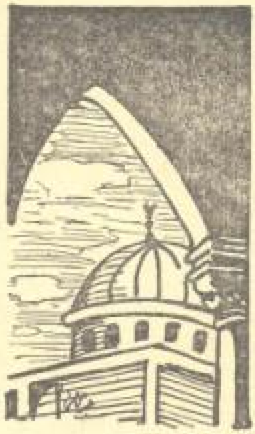


قتيبة الباهلى ويأبى الا أن يوغل فى بلاد الصين فيقول له أحد أصحابه محذرا : « لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر » فيجيبـه قتيبة : « بثقتى بنصر الله أوغلت ، واذا انقضت المدة ، لم تنفع العدة » ؟ فرد عليه المشفق المحذر قائلا : « اسلك سبيلك حيث شئت ، فهـذا عزم لا يفله الا الله •

كانت الهجرة المباركة حدا فاصلا من نور الله بين الاسلام والجاهلية ، وبين الوحدانية والوثنية ، وبين القومية والعصبية ، وبين الانسانية والحيوانية ،وبين ليل مظلم طال فى الهول والويل والضلال ، وصباح مسفر ضاء بالأمن والسلام والهداية •

تسنى بعدها للرسول بفضل الله أن يفطم المشركين عن الشر بالحكمة والقوة ، وأن يربى المسلمين على الخـير بالموعظة والقدرة • فجادل المنكرين بمنطق القرآن ،وجاهد المكابرين بمنطق السيف ، حتى جاء نصر الله والفتح ورأى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربه ، واطمأن على مصير دعوته وشعبه ، وأخذ يسن الســنن ويوضح المعالم ويبين للناس مالو اتبعوه من بعده لما ضلوا ولا ذلوا • فلم تمض عشر سنين على الهجرة حتى كان الدين قـد كمل ، والنعمة قد تمت ، والقرآن قد ختم ، والعرب قد تهيئوا لولاية الأرض وحكم الدنيا • فحج صلوات الله حجة التمام ، وخطب فى عرفة خطبة الوداع ، أشهد فيها الله على أنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة وخرج من العهدة •

وفى ذلك اليوم نزل عليه قوله تعـالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا» فعلم أن الله قد نعى اليه نفسه واصطفاه لجواره •



وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول للسنة الحادية عشرة من الهجرة لحق بالرفيق الأعلى • وكان قد حم صلوات الله عليه منذ اسبوعين قضاهما في برحاء الحمى بين وهجها وغشيتها لا يفتر عن ذكر الله ولا يغفل عن امر دينه • وكان أشد عليه من وجعه أن ينقطع عن المسجد وان يؤذنه بلال بالصلاة فلا ينهض لها • وفي آخر يوم من أيام المرض وجد الرسول خفة في جسده فعصب راسه وخرج من بيت عائشة متثاقلا تخط قدماه الأرض وهو معتمد على علي والفضل ابني عميه ، حتى أتى المسجد والناس يؤمون الصلاة ، فلم يكادوا يرونه مقبلا حتى أخذتهم هزة الفرح ، وفرجوا صفوفهم له فخطا بينها حتى جلس الى يسار ابي بكر وصلى قاعدا وراءه • فلما قضيت الصلاة صعد المنبر ، وكان قد علم أن مرضه الشديد قد جرأ بعض المنافقين على الانتقاض والردة، فوثب الأسود باليمن ، ومسيلمة باليمامة ، وطليحة في بني أسد ، فقال بعد أن حمد الله واستغفر لأهل أحد : « ايها الناس : سعرت النار واقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ! ألا وانكم لا تملكون علي شيئا • اني والله لم احل لكم الا ما أحل القرآن ، ولم أحرم عليكم الا ما حرم الله ،وان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، ثم أمسك • فأدرك الصديق ان الرسول يريد نفسه فاجهش بالبكاء وفداه بالأنفس والبنين • ثم خرج من المسجد فدعا لأسامة بن زيد بالخير ، وامره أن يسير بجيشه الى غزو الروم • وارتد الى بيته فنكس النكسة التي انخذل عنها العلاج ، وانطفأ منها السراج ، وغام بعدها الأفق ونجمت في أرض السقيفة بذور الفرقة • فلم يبق بين أيدي الناس الا كتاب الله يهتدي عليه الضال ، ويرجع اليه الشارد ، ويستقيم به الطريق •

***

هذا هو شهر ربيع الأول ، وهذه هي الاثنينه الثلاثة ، لخصت حوادثها تاريخ الرسول ، وسجلت مواقيتها اطوار الرسالة ، فكانت اطارا للصورة القدسية التي صاغتها يد الباري المصور لتكون جمالا للتاريخ ومثالا للاكبار • ومشكاة للمصباح الالهي السرمدي الذي يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار •

من أجل ذلك وجب الاحتفال بذكرى هذا الشهر وهذا اليوم ، ومن أجل ذلك استحب في أيام الاثنين الصدقة والصوم •

« أحمد حسن الزيات »



أغنية للأطلال العربية

للشاعرة : نازك الملائكة

من الجزع ، من قلب سقط اللوى — ووادي الغمار وبرقة ثهمد
ومن ربع نعم عفته الرياح — واقفر من أهله وتبدد
ومن طلل في الجزيرة اقوى — ومازال منبع عطر وعسجد
تعالت هتافات ماض عريق — يعيش الخلود بجفن مسهد

***

وتلك المرابع حيث الظباء — سرحن قديما وتلك الطلول
منازل يعرب يغني الوجود — ويلبث منها شذى لا يزول
وشعر ند عربي القوافي — يظل يبرعم مثل الفصول
اذا درست دمنة هب الف — امرىء القيس يدفع عنها النبول

***

تناديك يا عربي رمال — ممطرة باريج القدم
ديار العروبة ما لامستها — قديما سوى قبلات الديم
وقف بها اليوم اين الهوادج — اين الحداء .. واين الخيم ؟
ترحل فرسانها وانطوت — اناشيدها وزواها العدم

***

وتستعجم الدار يا عربي — وتغرق في صمتها لا تجيب
فان تبك ، تستبك جدرانها — يرد عليك السكون الرهيب
مسارح آرامها دنستها — خطا الوافد الاجنبي المريب
وارض نزار وبكر ووائل — خطوا على رملها تل أبيب

***

ويصعد في الليل همس كئيب — ترده الدمن الماحله
تغلغله كبرياء الطلول — وعزة احجارها الذابله
ويثقله رجع خطو القوافل — في رمل تلك الربى القاحله
متى يا زمان تعود الحياة — الينا وتنطلق القافله ؟
فيا عربي اصخ لنداء — تحدر من رحبة الأبديه
وقف حاسرا تحت ضوء النجوم — على ربع تلك الطلول الأبيه
وقل يا رمال الجزيرة بالحن — ملحمة العرب الأزليه
غدا ستعود اليك الحياة — تعود مع الوحدة العربيه

مولد الرسول .. وأثره في بناء المجتمع



للدكتور: محمد عبدالله العربي

« يأيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

يحتفل العالم الاسلامي – بعد أيام ثلاثة – بذكرى مولد خاتم النبيين الذي بعثه الله للناس كافة ، ليكمل لهم دينهم ، وليتم عليهم برسالته نعمه السابغة ·

فالانسانية مافتئت رحمة الله تواليها بالهداية والارشاد منذ بدء الخليقة على لسان رسله الى الأمم ، ولا غرو فهو الرحمن الرحيم بعباده ، كتب على نفسه الرحمة ووسعت رحمته كل شيء ·

كان مولده عليه الصلاة والسلام **فيصلا بين عهدين** في تاريخ الانسانية : بين عهد انحرفت فيه الأمم انحرافا بعيد المدى عن تعاليم الرسالات السابقة : فانتشر الفساد والبغي في الأرض ، وساد الانحلال الخلقي والاجتماعي في كل مكان ، وغلب الشقاء على السواد الأعظم من البشر · وبين عهد استكملت فيه الانسانية نضجها ، وقاربت رشدها ، واستعدت لاستقبال خاتم الرسالات الالهية ·

فقد اشتركت جميع الرسالات الالهية في عقيدتين أساسيتين: الايمان بوحدانية الله وانه لامعبود سواه، والايمان بالبعث والحساب وان كل نفس بما كسبت رهينة · وبين هذين القطبين تفاوتت تعاليم الأديان بين الأخذ بالشدة الرادعة والأخذ بالاقناع والتبصير والوعد بالغفران ، وتفاوتت بين الأخذ بنصيب من الدنيا والدعوة الى التجرد منها ، كما تفاوتت في صور العبادات: كل هذا رحمة بالغة من ربك في ايتاء كل أمة ما علم فيها الخير لها والملاءمة للزمان ·

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي اوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » (الشورى : ١٢)

«انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (المائدة : ٤٣) « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة (المائدة: ٤٥) ·· « وأنزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ·· (المائدة : ٤٧) ·

وهكذا تعاقبت الكتب السماوية لهداية البشر ، الى ان جاء القرآن ونزل به الوحي على خاتم الانبياء · جاء يستكمل هداية الانسانية بعد أن سارت في مراحل التدرج التي شاءت حكمة رب العالمين ان تسير فيها مرحلة بعد مرحلة ·

ولما أراد الله أن يكون الاسلام هو خاتم رسالاته الى خاتم النبيين ، وان كان هو الأصل الأساسي في جميع الرسالات السابقة : «ان الدين عند الله الاسلام» ·

ولما كان سبحانه هو العليم بما يفضي اليه تطور الانسانية ، فقد شاءت حكمته ان تكون تعاليم الاسلام في تنظيم المجتمع الانساني مرسلة في صيغة كلية عامة ، لتكون دوما قابلة للتفريع منها، والبناء عليها، على ضوء ما يستجد من حاجات البشر ، وحتى

لاتقيد الأجيـــال التالية بالتفصيلات الجزئية ، بل تقتبس الوضع الذى تتوافر فيه الملاءمة العملية لحاجات كل زمان ومكـــان ، مادام هذا الوضــع يستقيم مع التعاليم الكلية وينبثق من توجيهاتها • وهـــذه هى المرونة اللازمة فى التعاليم التى يراد لها الخلود لتكون ملائمة لتطور احتياجات البشر •

ولا شك أن ألزم ما نحتفل به فى ذكرى مولد الرسول المصطفى لهداية البشر الى أبد الدهر ، هو ان نتذاكر هذه التعاليم ، لاسيما فى الظروف التى تجتازها الانســانية فى هـــذا العصر • فالذكرى خير تبصرة للمؤمنين ، وأقوى سند لنضال المكافحين •

وحسبنا فى هذه الســـطور ان نطلع على معالم الطريق الذى رسمته هذه التعـــاليم ، لنتبين مدى استقامتنا فيه أو انحرافنا عنه •

هـــذه التعاليم بعضها **خلقى** ، يهـــدف الى تكوين **الفرد المثالى**، والفرد هو اللبنة الاولى فى بناء المجتمع، وبعضها **اجتماعى وسياسى** ، يخطط التنظيم الداخلى والخـــارجى لكيان المجتمع ، فلا فلاح لمجتمع بغير تنظيم شامل يوحد أهدافه ، ويربأ صدوعه ، ويقيمه على صراط الحق والعدل • وبعضها اقتصادى يرسم سياسة المال، ويخطط حدود الجانب المادى فى نشاط المجتمع ، فقد عنى الاسلام أكبر عناية بالتوفيق بين الجانب المادى والجانب الروحى فى حيـــاة الانسان • وهذه التعاليم متعاونة متفاعلة، كل منها تتأثر وتؤثر فى الأخرى •

اما التعاليم الخلقية فمحورها الايمان •

وأول مواطن الايمان هو الايمان بوحدانية الله ، لا عبودية لغير الله ، لا عبودية لصــنم أو مخلوق أو هوى من الأهواء أو شهوة من الشــهوات • وبذلك تحرر العقل الانســـانى من جميع قيود العبـــودية • والانسان الذى تطور على هذا النحو صار خليفة الله فى الأرض، فارتفعت كرامته الذاتية على أمتن أساس، وصار قيامه على الفضـــائل ، وسـعيه الدائب نحو الكمال ، نتيجة منطقية لهذه الخلافة• هذا هو التوجيه الوجدانى الذى يوحى به الايمان بوحدانيـــة الله ، والعبودية له وحده •

ولكن الاسلام لا يقتصر على هذا التوجيه الوجدانى بل اتجه اتجاها عمليـــا لاستكمال مقتضيات هذا التوجيه ففرض عباداته •• وكلها تدريب فعال على دعم هذه الفضائل فى نفس المسلم ، وكلها اشعار متجدد باتصاله الروحى بخالق الكون •

وثانى مواطن الايمان هو **الايمان برسالة محمد ،** خاتم رسل الله الى البشر • ومتى استقر هذا الايمان فى وجدان المسلم فانه لا يلبث أن يحفزه الى السعى ما استطاع الى الاحتذاء بالمثل الرفيعـة التى خلفها الرسول للأجيال التالية • مهتديا بالدروس الخالدة التى لقنتها حياة هـــذا الرسول الـكريم للانسانية جمعاء • وقد أجمع المؤرخون فى الشرق وفى الغرب على أن حياة رسولنا اليومية وتصرفاته فى كلياتهـــا وجزئياتها قد سجلت ورويت فى أمانة ودقة لم تظفر بمثلهما حياة رسول من قبل • فصارت حياته مرآة صادقة ، يرى فيها المسلم الحل لكل مشكلة تعترضه، والمخرج من كل أزمة نفسـية تلابســه ، والهـداية الرشيدة فى معترك الحياة اليومى •

ورسولنا ــ ككل رسل الله ــ بشر ، عبد من عباد الله ، والمسلم فى صلاته اليومية يكرر الشهادة بأن الرسول عبد الله • والقرآن يؤكد هـــذه البشرية ، والرسول يتشدد فيهـــا ، « قل انما أنا بشر مثلـكم يوحى الى انما الهكم اله واحد » •

هذا التأكيد على بشرية الرسول يجعل الاقتداء به فى كفاحه وعمله وسلوكه الفردى والجماعى ، واتخاذه الأسوة الـكبرى والمثل الأعلى ــ يجعل الاقتـــداء به فريضة من الله على كل مسلم ، ما استطاع الى ذلك سبيلا • فلو كان الرسول ملـكا ، أ وتخالطه مسحة من الذات الالهية ــ كالذى انحرفت اليه بعض الأديان ــ لكان للمسلم ذريعة فى القعود عن الاقتداء به لاختلاف طبيعتـــه البشرية عن طبيعـــة الرسول الملائكية أو الالهية •

وثالث مواطن الايمان هوالايمان بالبعث والحساب، هذا الايمان الذى يملأ قلب المســلم باحســـاس حى برقابة الله عليه فى كل حركة من حركاته وفى كل تصرف من تصرفاته • هذا الايمان الذى يتولد عنـــه اليقين بأن هذه الحياة الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة، واليقين بأن الله انما خلق الموت والحياة ليبلونا أينا

أحسن عملا ، فاحسان العمل فى هذه الحياة الدنيا هو الهدف الأول والأخير من وجود المسلم فيها • وهو مكلف بان يعمل وينتج ، ويجيد ويتقن فيما يعمل وينتج، لالنفسه وجيله فقط، بل لهما وللأجيال المقبلة • وهو فى هذا العمل المتواصل يتحرى الدقة فى ابتغاء الخير العام ، ويتورع عن الشر والاثم ، لأنه في عمله الدنيوى لا ينسى آخرته ، ويظل يذكر موقف الحساب عن نشاطه اليومى أمام ربه •

هذه مواطن الايمان الثلاثة التى خلقت المسلم المثالى فى صدر الاسلام •

ولقد استطاع مئات من هذا الطراز فى صدر الاسلام أن يأتوا بما يشبه المعجزات فى دك عروش طغاة عتاة ، وأن يحرروا الشعوب من مظالمهم ، وأن يرفعوا لواء الحرية والمساواة والعدالة فى ارجاء الأرض •

هذه التعاليم الخلقية هى الأساس الذى أقامت عليه الرسالة المحمدية شخصية المسلم المثالى • ثم امتدت رسالة الاسلام من هذه النقطة الى آفاق أوسع فى تنظيم المجتمع • ذلك لأن الاسلام ليس مجرد دين تعبدى فحسب ، بل هو منهج فى الحياة ، حياة الفرد وحياة المجتمع ، وعباداته ذاتها تتصل بتنظيم هذا المنهج ، وتأخذ بيد المسلم وتحثه على السير قدما فى هذا الطريق المسنون •

الاسلام ليس مجرد شعائر وعبادات ، بل هو دستور شامل للسلوك الانسانى ، فى الجانب الخاص والجانب العام من حياة المجتمعات الانسانية •

فمثلا فى **نظام الحكم** أمر الاسلام أن تقوم فى كل مجتمع هيئة تتولى تنظيمه السياسى • « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » : أركان ثلاثة تقوم عليها الدولة الاسلامية ، وقد طبق الرسول هذه الأركان الثلاثة تطبيقا واقعيا مثاليا فى دولة المدينة •

فالركن الأول هو الدعوة الى الخير ، فالدولة الاسلامية دولة خيرة ، دولة شعارها تحقيق فلاح المجتمع ، وهو ما يحاول الفقه السياسى الغربى أن يصل اليه بما يسميه « Welfare State » • والركن الثانى هو الأمر بالمعروف ، و « المعروف » هو كل هذه الأصول الكلية التى فرضها الاسلام لصالح المجتمع ، وكل ما يتبنى عليها ويتفرع منها • والركن الثالث هو النهى عن المنكر ، و « المنكر » هو كل ما نهت عنه هذه الأصول الكلية ، وكل ما يقاس عليها فى الحاق الضرر بالمجتمع •

هذه هى الوظائف الثلاث للهيئة التى تتولى زمام الحكم فى المجتمع الاسلامى • واما كيفية قيام هذه الهيئة فقد اكتفى الاسلام ـ الى جانب ما فرضت تعاليمه الخلقية من عدالة مطلقة ومساواة شاملة ـ باصل كل واحد ، هو « الشورى »• « وأمرهم شورى بينهم »• فالمجتمع المسلم يجب أن يستشار فى تكوين هذه الهيئة وفى كل ما يتصل ببنيانها ونظامها وخططها واهدافها • وليس لهذه الهيئة سيادة على المجتمع بالمعنى المعروف فى الفقه السياسى الغربى ، بل السيادة لله وحده ، والناس جميعا سواسية ، لا سيد ولا مسود ، ولكن الشعب وقد استشير فى تكوين هذه الهيئة ، وظل بعد ذلك هو المرجع فى كل ما يتفرع عن الأصول الكلية التى أتى بها الاسلام، فقد صار لهذه الشورى أثرها الالزامى فى كل مايقام من نظم حكومية •

واما التنظيم الداخلى لهذه الهيئة فقد عهد به الاسلام الى جهود العقل الانسانى ، يمضى فيها باجتهاده ، ليصطفى أكثر الأوضاع ملاءمة لاحتياجات الزمان والمكان ، على ضوء المبادىء العامة التى يستخرجها عقل الانسان نفسه من كتاب الله وسنة رسوله الكريم •

واذا **نظرنا الى تعاليم الاسلام الاقتصادية** رأيناه يضفى عليها اطارا روحيا ، تتجلى لنا روعته من نظرته الى العمل والى المال ، الركنين الأساسيين فى كل بنيان اقتصادى •

أما نظرته **الى العمل** فالاسلام يمجده ، ويدعو الى الجد والاتقان فيه ، ويضفى على كل عمل نافع صبغة تعبدية ، فى ظل رقابة الهية توجه نشاط كل فرد الى

نفع ذاته ونفع المجتمع على السواء ، بل نهى الاسلام عن الانقطاع للعبادة بغير عمل يؤديه المسلم في المجتمع .

ذلك دستور الاسلام في تمجيد العمل والحض عليه . وقد ترتب على ذلك أمران :

الأول : أنه جعل العمل المصدر الأول للكسب المشروع . فاذا اشترك العمل مع راس المال فهي مشاركة الند للند ، لا مشاركة الرقيق للسيد .

الثاني : ان المال وحده بغير عمل سابق انتجه ، أو عمل لاحق صانه ونماه ، لايكون مصدرا للكسب المشروع . ولذلك حرم الاسلام الربا ، وحطم بذلك اكبر صنم في الاقتصاد الرأسمالي .

أما نظرة الاسلام **الى المال** فقد أجاز الملكية الفردية، ولكنه شفعها بأن يكون استثمار المالك لماله في سبيل الله ، أي في سبيل خير المجتمع . لأن المال خلقه الله وسخره لنفع عباده ، والفرد بامتلاكه لشيء من هذا المال انما هو أمين عليه . بحكم خلافته لله على هذا المال ، فليس له أن يستأثر بنفعه ، بل عليه أن يمد هذا النفع الى خير المجتمع . فاذا استغل ماله في الحاق الضرر بالمجتمع فقد أخل بأمانة خلافته لله على هذا المال ، وأهدر حقه في ملكية المال .

لذلك قيد الاسلام حق الملكية بقيود وتكاليف ، منها تكاليف ايجابية كالزكاة التي حدد الاسلام نصابها ومصارفها ، والانفاق في سبيل الله ، وهو أوسع نطاقا من فريضة الزكاة ، لأنه يمتد الى كل انفاق متطوع في سبيل مصلحة المجتمع ، والضرائب التي يفرضها ولي الأمر لتأمين المجتمع والوفاء بمرافقه المشتركة اذا لم تتحقق الكفاية بحصيلة الزكاة والانفاق الاختياري في سبيل الله . ومنها وجوب استثمار المالك لماله اذا كان هذا المال من مصادر الانتاج ، فاذا أحجم عن هذا الاستثمار كان للمجتمع أن يفرض عليه مداومة الاستثمار ، واذا ارتكب شططا في استثمار ماله والتزم أسلوبا عقيما في الاستثمار كان للمجتمع أن يرده الى الاسلوب الرشيد وللمجتمع عند الضرورة أن يسترد منه مصدر الانتاج مقابل تعويض بقيمته .

ومنها تكاليف سلبية ، أولها كف المالك عن استعمال ماله في الحاق ضرر بمصلحة المجتمع ، أو استغلال مكانته المالية في حيازة نفوذ سياسي في تصريف شئون الدولة ، ابتغاء توجيهها الى خدمة مصالحه الذاتية وتسخير أداة الحكم في اشباع شهواته الآثمة في الكسب على حساب طبقات المجتمع الأخرى. واحترام هذا التكليف له أكبر الأثر في صيانة المجتمعات الاسلامية من أسباب الانحلال وعوامل الانهيار التي تصيب المجتمعات الغربية . فهناك نجد الأقلية القابضة على زمام الثروة القومية، والتي تدعم سلطانها بالتجمع في كتل احتكارية ، قد سيطرت سيطرة تامة على الجانب السياسي من حياة الأمة ، وتجد سياسة الدولة الداخلية والخارجية خاضعة لوحي هذه الفئة القليلة واملائها النافذ .

وتشريعاتنا الاشتراكية ليست الا تنفيذا لهذا التكليف ، تنفيذا اقتضته ملابسات هذا العصر .

ومن التكاليف السلبية أيضا النهي عن الاسراف والتقتير ، لأن كلا الاتجاهين يضر بمصلحة المجتمع . أما التقتير وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد ، فيحول دون نشاط التداول النقدي ، وهو ضروري لانعاش الحياة الاقتصادية . وأما الغلو في التبذير ، والاسراف في الوان الترف السفيه ، فيولد البغضاء في الطبقات المحرومة، ويربي في نفوسهم سخطا يدمر في النهاية تماسك المجتمع .

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وهكذا كانت رسالة الاسلام في المجال الاقتصادي تهدف الى صياغة المجتمع في قالب بيئة تعاونية متكافلة متساندة ، تتوازن فيها جميع المصالح المتعارضة والنزعات المتنافرة توازنا قويما . وهذا التوازن يؤدي الى نتائج تميز المجتمع الاسلامي عن سائر المجتمعات المعاصرة :

النتيجة الأولى : اجازة ملكية المال بغير قيد الا الوفاء بهذه التكاليف الايجابية والسلبية ، واذن يستقيم هذا الوضع مع غريزة الانسان الفطرية الى تملك المال ، وفي هذا أكبر حافز للأفراد على تنمية الثروة القومية ·

النتيجة الثانية : حسن توزيع الثروة القومية ، لأن فضول مال الاغنياء قد فرض الاسلام لها مصارف سنوية في وجوه البر والمرافق العامة· فهذه المصارف تحول دون تكدس الثروة عند فئة قليلة ، تفسد بثرائها الفاحش اجهزة الحكم ، وتمحق حريات الشعب· كما أن نظام الارث الاسلامي يؤدى الى توزيع ما تجمع من الثروة بعد أداء كل هذه الفرائض ·

النتيجة الثالثة : قيام التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على أكمل وجه ، فلا يجوز أن يبقى في جنباته معدم أو عار أو جائع الى جانب أهل الثراء · والتكافل على هذا النحو يخلق من المجتمع وحدة متماسكة تماسك البنيان يشد بعضه بعضا ·

وبعد :

فهذه لمحة سريعة الى معالم الطريق الذى رسمته الرسالة المحمدية في تنظيم المجتمع ، بعد أن أقامت دعائم بناء المسلم المثالى · وهى خير ما نتذاكره في مولد من بعثه الله هدى ورحمة للعالمين ·

ورحم الله شاعرنا شوقى اذ يقول: «الاشتراكيون أنت امامهم » ·

وقد طبق الصدر الأول من الامة الاسلامية هذه التعاليم تطبيقا عمليا يلائم مطالب زمانهم واحتياجات بيئتهم ، فكان مجتمعهم مجتمعا مثاليا لم يصل مجتمع آخر الى مستواه من قبل ولا من بعد ·

***

اما العصور التالية فقد بعدت كل البعد عن هذه التعاليم ، وأبقتها في حيزها اللفظى المجرد ، بغير أن ترتب عليها النتائج العملية التي تقتضيها ، وبغير أن ترسم الأوضاع التنفيذية التي تكفل لها الحياة والنفاذ في آفاق المجتمع على ضوء ظروف كل بيئة وملابسات كل عصر ·

وانه لمن يمن الطالع أن يأتى احتفالنا بمولد محرر الانسانية في عشية احتفالنا بعيد الثورة الثالث عشر ·

عيد يقترن بخيرات تشريعاتنا الاشتراكية ، الاجتماعية التي طبقت تعاليم الاسلام في تنظيم المجتمع على ضوء ظروف بيئتنا وملابسات عصرنا ، عيد يقترن بالخطوات الأولى في مرحلة الانطلاق ، الانطلاق الى دعم اقتصادنا القومى بالتصنيع الشامل والتطوير العلمى لزراعتنا ، ودعم بنياتنا السياسى والاجتماعى باستكمال أجهزة تنظيماته وتعميق وعى الشعب لها وافساح اشراكه فيها ·

***

نخطو هذه الخطوات ، والتحديات الآثمة تواجهنا من كل جانب ، ولكن لنا في كفاح رسول الله أسوة حسنة ، ولنا الثقة الكاملة بوعد الله بالنصر لكل من استعانه واستمسك بالعروة الوثقى ·

« د · محمد عبد الله العربي »

وانك لعلى خلق عظيم



اجتمع في الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صفات الكمال الخلقي أقصى ما يمكن للعقل البشرى أن يتصور اجتماع مثله في انسان ، حتى استأهل بحق ماوصفه الله تعالى به في عبارة جامعة رائعة اذ يقول : « وانك لعلى خلق عظيم » • ويبدو كماله هذا في جميع عناصر شخصيته ، وفي شتى فروع حياته، ومختلف انواع علاقاته : سواء في ذلك علاقاته بربه وعلاقاته باهله وعلاقاته بالمسلمين والانسانية جمعاء • وكان من انبل خلاله واشدها دلالة على عظمته ثلاث صفات : الجود والايثار والقصد •

١ ــ فقد كان عليه الصلاة والسلام ، ــ كما وصفه ابن عباس فيما أخرجه البخارى ــ «أجود الناس» ، و «أجود بالخير من الريح المرسلة » • وروى ابوذر الغفارى رضى الله تعالى عنه قال خرجت مرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو أحد (وهو جبل بالمدينة كانت فيه غزوة أحد الشهيرة) فقال عليه السلام يا أبا ذر • فقلت نعم يارسول الله بابى أنت وامى • قال أتبصر أحدا؟ (يشير الى جبل أحد) • فنظرت الى الشمس مابقى من النهار وانا اظن ان رسول الله سيرسلنى في حاجة ناحية احد • فقلت نعم يارسول الله • قال « ما أحب ان يكون لى مثل احد ذهبا انفقه في سبيل الله اموت واترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يارسول الله • قال بل قيراطين • اى انه لؤلمه ان يكون له مثل جبل احد ذهبا ينفق منه على الفقراء والمساكين والصالح العام ثم تعجله المنون وفي يده منه قيراطان لم ينفقهما بعد في هذه السبيل •

للدكتور: على عبد الواحد وافى

وقد بدت مظاهر الجود لديه عليه السلام في جميع مراحل حياته ، حتى من قبل أن يبعث • يدل على ذلك ما وصفته به خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحى عليه لأول مرة • فقد ذهب اليها يرتجف خوفا وفزعا مما أصابه من مفاجأة الملك له وغطه له غطا شديدا ، وقال لها زملونى زملونى ، (أى غطونى وأدفئونى) • وبعد أن ذهب عنه الروع وقص عليها ما حدث قال : « والله لقد خشيت على نفسى » • فقالت له : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا : انك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ،

وتعين على نوائب الدهر » • وصلة الرحم هي الاحسان الى القريب ورعايته ، وقرى الضيف اكرامه والحفاوة به ، والكل بفتح الكاف هو اليتيم والعاجز عن العمل، « وتحمل الكل » اى تكفيه مئونته وتسد حاجته ، والاعانة على نوائب الدهر هى مد يد المساعدة لمن نزلت به كارثة • ـ فكانت هـــذه الخلال من أخص صفاته عليه السلام حتى من قبل رســالته ، وهى أعلى مراتب الجود •

وكان عليه السلام أكرم الناس لضيوفه ، فكان يقدم لهم أحسن ما عنده وما يستطيع ان يحصــل عليه ، وكان أسخى الناس فى مآدبة ،اذا أقام مادبة دعا اليها عددا كبيرا لامن الفقراءوالمساكين فحسب، بل من سراة القوم وأعيانهم كذلك • عن أنس بن مالك قال أقام الرسول عليه السلام مادبة بمناسبة زواجه باحدى نسائه • فقــال لى أذهب فادع فلانا وفلانا ، فسمى رجالا كثيرا ، وقال ومن لقيت من المسلمين • قال فدعوت من قال لى ومن لقيت من المسلمين • فجئت والبيت والصفة والحجرات ملأى من الناس • قال راوى الحديث فقلت لأنس يا أبا عثمان كم كانوا ؟ فقال كانوا زهاء ثلثمائة • واذ كان جود الرسول صلى الله عليه وسلم قد حمله فى هذه المادبة على أن يدعو اليها هذا العدد الكبير من الناس بدون أن يكون فى بيته مايكفى لطعامهم ، فقد أظهر الله تعــالى على يديه معجزة حققت له رغبته • قال أنس • وكان الناس يومئذ فى جهد (أى فى قحط ومجاعة) • وكانت أم سليم قــد صنعت له لهذه المناسبة حيسا (والحيس تمر ينزع نواه ويدق فى اللبن ويعجن بالســـمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد) ، ثم جعلته فى تور (والتور بفتح التاء وسكون الواو اناء كبير يشرب فيه ويؤكل كالجفنة والقصعة) ، وقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه منى السـلام ، وأخبره أن هذا منا له قليل • فجئت به وأخبرته بما قالت • فنظر اليه ، ثم قال ضعه • فوضعته فى ناحية من البيت • ولما تجمع المدعوون قال عليـــه السلام جىء به • فجئت به اليه • فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله • وقال ليتحلق عشرة عشرة وليسموا وليأكل كل انســان مما يليه • فجعلوا يسمون ويأكلون حتى أكلوا جميعا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه • قال فجئت فأخذت التور ، فنظرت فيـــه فاذا هـــو لايزال مملوءا بالحيس ، فلا أدرى أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت •

***

وقد امتزج جوده عليه السلام بسماحته • فكان يبالغ فى اكرام ضيفانه والحفاوة بهم فى مآدبه ، ولا يضيق عليهم فى أى شأن من شئونهم ، مهمـا يناله فى سبيل ذلك من عنت • وكان بعض ضيوفه يأبى الا أن ينعم بأكبر وقت ممكن فى هذه الضيافة، ولا يقيم وزنا لراحة الرسول وراحة أهله • فكانوا يذهبون قبل موعد المـــادبة بمدة طويلة منتظرين نضج الطعام • وكانوا بعد الانتهاء من الطعــــام يجلسون يتسامرون مستأنسين للأحاديث • وكان ذلك يرهق الرسول عليه السلام ويرهق أهله عسرا من أمرهم • ولكن سماحة الرسول كانت تأبى عليه أن يبدر منه ما يوجه نظرهم الى ذلك • وكان يضحى فى ســـبيل تحقيق متعتهم براحته وراحة أهله • فعلمهم الله تعالى الأدب فى المآدب،ونهاهم أن يذهبوا قبل موعد المأدبة بأمد طويل منتظرين نضج الطعام، وامرهم اذا فرغوا من الطعام واستراحوا قليلا أن ينتشروا ولا يطيلوا المكث بعد ذلك حتى لا يرهقوا صاحب البيت • وفى هذا يقول الله تعالى : « يايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعـــام غير ناظرين اناه » (أى غير منتظرين نضجه ، أى لاتذهبوا قبل موعد المأدبة بأمد طويل وتجلسوا منتظرين نضج الطعام)» ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتـم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث ، ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم ، والله لايستحيى من الحق » (آية ٥٢ من ســـورة الاحزاب) • وفى قوله تعـــالى « فيستحيى منكم » دليل على مبلغ ما استقر فى طبع الرســـــول عليه السلام من سماحة وجود •

٢ ـ وكان الرسول عليه السلام : يؤثر المسلمين على نفسه وأهله • فكان ينفق على المسلمين وشئونهم معظم ما يحصل عليه من غنيمة وفىء • ولا يبقى من ذلك لنفسه وأهله الا الكفاف بل مادون الكفاف من القوت • .وحتى الموارد التى جعلها الله تعالى خاصة له ولأهله كخمس الغنــائم : « وأعلموا انما غنمتم

لمن شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٤١ من سورة الانفال) ، وأموال الفيء وهو ما يحصل عليه المسلمون من أعدائهم بدون حرب على أثر استسلام أو قبول للجلاء كفيء بني النضير وبني قريظة من اليهود : « ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (آية ٧ من سورة الحشر)، حتى هذه الموارد نفسها كان عليه السلام يضن بها على نفسه واهله وينفق معظمها على المسلمين وشئونهم ، فكان يعيش هو واهله فى مآكلهم ومشربهم وملبسهم وشئون حياتهم الخاصة كما تعيش أفقر أسرة من اصحابه ، مع ان الموارد التى احلها الله تعالى له كانت تتيح له لو أنفقها على نفسه وذوى قرباه أن يعيش هو واهله فى ارغد عيش . وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها حياته هذه اذ تقول : « ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وتحدثت مرة أخرى عن ذلك مع عروة بن الزبير وهو ابن اختها اسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين ، فقالت : « والله يا ابن اختى ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ، ثلاثة أهلة فى شهرين ، وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار » أى انه كان يمر على زوجات الرسول عليه السلام شهران قمريان كاملان ويدخل الشهر الثالث بدون أن يكون قد أوقد فى بيوتهن نار لطهو لحم أو لاعداد طعام من الاطعمة التى يقتضى اعدادها ايقاد النار . — . وهكذا كانت حال ابنته فاطمة وحال صهره وابن عمه على من رقة الحال وشظف العيش . حتى انه لم يكن لديهما غطاء يغطى جميع أجزاء جسميهما وهما نائمان . وقد وصف الامام على بن أبى طالب ما بعث به الرسول عليه السلام مع ابنته فاطمة من جهاز يوم زفافها، فقال: « ان الرسول عليه السلام لما زوجه ابنته فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة حشوها من ليف ورحيين وسقاء وجرتين » . وكانت فاطمة رضى الله عنها تقوم بنفسها بجميع شئون بيتها وخدمة زوجها ، ولم تكن لديها خادمة تساعدها فى أعمالها . وقد ذهبت مرة الى أبيها عليه السلام وعلى يديها واصابعها آثار الجهد ، وشكت ما هى فيه ، وطلبت ان يمنحها جارية من سبايا الحرب لتساعدها فيما تقوم به ، فآثر عليه السلام أهل الصفة على ابنته ، واكتفى بأن يحفظها تسبيحات ترددهن فيربط الله على قلبها ، ويمنحها القوة على عملها . روى ابن أبى ليلى قال اخبرنا على أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن . فبلغها أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بسبى . فأتته تسأل خادما ، فلم توافقه (أى لم تجده) . فذكرت ذلك لعائشة . فجاء النبى فذكرت عائشة له ذلك . فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا . فذهبنا لنقوم . فقال على مكانكما ، حتى وجدت برد قدميه على صدرى . فقال الا أدلكما على خير مما سألتمانى ؟ اذا أخذتما مضاجعكما فكبرا الله ثلاثا وثلاثين واحمداه ثلاثا وثلاثين وسبحاه ثلاثا وثلاثين ، فان ذلك خير مما سألتماه . ووالله لا اعطيكم خادما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا اجد ما أنفق عليهم ، ولكن أبيعهم (يقصد الرقيق من سبى الحرب) وأنفق عليهم أثمانهم » (وأهل الصفة جماعة من فقراء الصحابة وخيارهم كانوا ملازمين للرسول عليه السلام ، وكان مقامهم أمام بيوته ، ومكانه الآن محدد باطار أمام قبر الرسول وصاحبيه . ومنهم أبو هريرة وأبو ذر الغفارى) .

وقد أبى عليه السلام الا أن يؤثر المسلمين على نفسه وأهله وابنته ، وأبى الا أن ينأى بنفسه وأهله وابنته عن مواطن الشبهة والريبة واستغلال المكانة والنفوذ والقرابة ، لا فى حياته فحسب ، بل بعد مماته كذلك . فقد قرر عليه السلام أن مايتركه بعد وفاته لا ترثه بنته ولا زوجاته ولا أحد من أقربائه ، وانما يضم الى بيت المال فيكون لجميع المسلمين . وفى هذا يقول عليه السلام : « لاتقسم ورثتى دينارا ولا درهما . ماتركت بعد نفقة أهلى ومئونة عاملى فهو صدقة » . ومن أجل ذلك لم يعط أبو بكر الصديق فاطمة ابنة الرسول ولا زوجاته ولا أحدا من أقاربه شيئا مما ترك بعد وفاته . وحتى بيوته عليه السلام نفسها أبيح لزوجاته من بعده الاحتفاظ بسكناها فقط ما دمن على قيد الحياة . وكانت كلما توفيت واحدة منهن ضم بيتها الى المسجد الذى يعم نفعه جميع المسلمين ، وهكذا حتى دخلت بيوتهن جميعا فى المسجد النبوى ، وفى مكانها الآن قبر الرسول عليه السلام (وكان ذلك بيت عائشة رضى الله عنها

لأنه دفن في بيتها) وما يقع أمامه من مسجده (وكان ذلك مشغولا ببيوت الاخريات من أمهات المؤمنين) . وكذلك كان لكل منهن نفقتها فقط من تركة الرسول. وبعد وفاتهن ضم ما كان ينفق منه عليهن الى بيت المال وصرف في منافع المسلمين . ولم يرث بيوتهن ولا مصادر نفقاتهن أحد من أقربائهن . ولم يكن ذلك الا تنفيذا لما أمر به الرسول عليه السلام في حديثه السابق ذكره . ـ وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل اليه فضيلة الايثار في زوج كان من أشد الناس حدبا على زوجاته وأب رحيم كان يعتبر ابنته فاطمة « بضعة منه ، يؤذيه ما يؤذيها » (وهذا نص حديث شريف وصف به عليه السلام مبلغ حبه لفاطمة) .

٣ ـ **وكان عليه الصلاة والسلام** يلتزم في جميع شئونه جادة القصد ، ويجنح الى الوسط من الامور، مجانبا ناحيتي الافراط والتفريط ، حتى في شئون عبادته نفسها . جاء يوما الى بيوت النبي عليه السلام ثلاثة رهط من كبار الأتقياء وممن عزفوا عن متع الحياة وتفرغوا للعبادة ، جاءوا الى بيوت الرسول يسألون عن عبادته ، حتى تتم محاكاتهم له ، ويتداركوا ما عسى أن يكون قد فاتهم . فلما أخبروا بمناهجه في العبادة كأنهم تقالوها ، أي عدوها قليلة بالقياس الى عباداتهم هم . وقالوا ملتمسين للرسول العذر ومبررين انكبابهم على عبادة الله : « وأين نحن من رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » . وقال أحدهم أما أنا فاني أقوم الليل أبدا ولا أهجع . وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر . وقال ثالثهم وأنا أعتزل النساء أبدا ولا أتزوج تبتلا وتقربا الى الله . فدخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم الذين تقولون كذا وكذا . أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكننى أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

« د . علي عبد الواحد وافي »

نور

للشاعر التركي : توفيق فكرت

ترجمة أكمل الدين محمد إحسان

ويفيه تجوب الحقول ، منهوكة القوى
تمسح عرقها بطرف جلبابها الأزرق
خرجت تجمع السنابل
بينما ترسل الشمس اشعتها المحرقة

***

ابدا ... تنحنى ثم تعتدل
تلتقط القوت من الأرض
من النعم التي وهبها التراب

***

تتطلع برفق
مرة الى قوة زوجها الجبارة
ومرة الى جذل ابنتها الطفلة
لا شيء يكدر صفوها
كل ماتبغيه ، أسرة قوية ومحصول وفير

***

هذه الأسرة الصغيرة بكدها اليسير
ستمنح العالم قوت عام
كأني بهذه الريفية بجلبابها الأزرق
وهي تكد في الحقول
كأني بها ، تمثال تموز



المدينة .. قاعدة الإسلام

للدكتور عبد العزيز كامل

نظرة شاملة :

لعل من الأفضل فى دراسة المدينة كقاعدة للاسلام ، ان ننظر الى حياة النبى عليه الصلاة والسلام فيها نظرة شاملة نحاول بها ان ننظم الأحداث الجزئية فى صورة كلية • ومن الناحية المنهجية ينبغى أولا تحديد الملامح الرئيسية للمدينة ـ طبيعيا وبشريا ـ ودراسة علاقاتها بما حولها ، وتعاقب الأحداث فيها ، وعلاقة ذلك بتوزيع القوى التى ناصرت الاسلام والتى قاومته ، وكيف استطاع النبى عليه الصلاة والسلام أن يقابل هذه القوى حتى استقر الاسلام فى المدينة •

وليس من المستطاع ـ فى حدود هذا المقال ـ الالمام بهذا كله ، ولكنه محاولة أولية فى هذا المجال تعنى ـ بخاصة ـ بالكيفية التى قابل بها الرسول خصوم الاسلام وكيف جمع قوة المؤمنين لذلك ، ومحاولة تفسير الخطط التى اتبعها • وبعبارة أخرى، فان المقال اجابة على سؤالين : كيف ولماذا اتخذ الرسول ما اتخذه من مناهج للتمكين للاسلام فى المدينة •

الملامح الطبيعية :

ولنبدأ أولا بعرض موجز للملامح الطبيعية للمدينة ..

فهى تبعد عن ساحل البحر الأحمر بنحو ١٦٠ كيلو مترا ، وعن مكة ـ فى خط مستقيم ـ بنحو ٣٣٥ كيلو مترا • وتشغل جزءا منخفضا من سهل مرتفع ومنسوبها نحو ٧٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر • وتحيط بها الجبال ـ أو التلال ـ من ثلاث جهات ، اما الجنوب فاكثر استواء وان كانت به بعض المرتفعات •

وتقع المدينة بين حرة واقم الى الشرق وحرة الوبر الى الغرب • والحرة تكوينات بركانية • وتسمى احيانا اللابة • والى شمالها جبل احد ، ومن ورائه جبل

ثور ـ الحد الشمالى لحرم المدينة ـ والى الجنوب جبل عير حدها الجنوبى • ويوضح الحدين الحديث الشريف « المدينة حرام ما بين عير الى ثور » (عن على رضى الله عنه ، اخرجه الخمسة) • أما الحدان الشرقى والغربى وهما الحرتان فجاء ذكرهما فى حديث آخر «انى أحرم ما بين لابتى المدينة » (عن سعد • رواه مسلم) •

والانحدار العام للمدينة نحو الشمال الغربى • وينحدر من حرة واقم وادى بطحان ومذينيب ويلتقى بهما وادى رانوناء منحدرا من جبل عير •وتتجه هذه الأودية نحو الشمال الغربى ، ويلتقى بها وادى قناة منحدرا من الشرق ، ثم تنتهى الى وادى العقيق الذى يخترق حرة الوبرة مقبلا من الجنوب ويتابع اتجاهه شمالا •

ويطلق على الأجزاء المرتفعة فى الجنوب الشرقى العوالى أو عالية المدينة وعلى الجزء الشمالى منها سافلتها • ويتخذ انحدار المدينة ـ بهذا ـ عكس الاتجاه الذى يأخذه الانحدار العام لمكة •

وموارد المياه فى المدينة متوفرة ، وبخاصة على طول الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها ، وهى ذات نظام شجرى يتجمع فى وادى العقيق •

وليس فى المدينة الجفاف الشديد الذى تعرفه مكة، وانما ترتفع رطوبتها ـ نسبيا لوفرة مياهها •

الملامح البشرية :

وتقع المدينة على طريق البخور الممتد من اليمن الى الشام ، واستطاع سكانها أن يفيدوا من موارد مائها وجودة تربتها ، فجعلوا منها واحة زراعية تشتهر بنخيلها وبساتينها •

واذا كانت مكة قد تمتعت بانها حرم الله من أقدم عصور الحياة فيها ، فان المدينة لم تتمتع بهذه الحرمة الا بعد هجرة الرسول اليها • وهى حرمة لا يدين بها غير المسلمين • من أجل ذلك كان على المدينة ـ قبل الاسلام ـ وفى أيام النبى ـ قبل اسلام مكة ـ ان تحمى نفسها بنفسها ، وانعكس هذا على تخطيطها ونظام مبانيها •

والتكوين الاجتماعى للمدينة ـ قبل الاسلام ـ يختلف عن مكة • فقد سكنتها قبائل من اليهود : من بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة • وتذكر المراجع العربية أكثر من سبب لهجرة اليهود الى المدينة واستقرارهم فيها وفى غيرها من الواحات كفدك وتيماء وخيبر شمالى المدينة (يراجع معجم البلدان لياقوت ، مادة : مدينة يثرب ٥ : ٨٢ ـ ٨٨ ط بيروت) • وعندما قويت هجرة عرب الجنوب نتيجة للتدهور الاقتصادى الذى أصاب بلادهم من سيطرة اليونان والرومان على التجارة فى المحيط الهندى والبحر الاحمر ، وقلة الموارد التى يستطيعون بها صيانة مشروعات الرى المتعددة التى يعتمدون عليها فى زراعتهم اعتمادا كبيرا ومن أهمها سد مارب ، والجفاف الذى أصاب البلاد ، خرجوا من ديارهم مهاجرين الى الشمال واستقرت منهم قبائل فى المدينة • من أجل ذلك لم يكن فى المدينة التماسك الاجتماعى الذى عرفته مكة وانما كانت فيها فرقة من اهم مظاهرها ما كان بين العرب واليهود من ايام ، وما كان بين الأوس والخزرج أنفسهم من تنافس وفرقة وحروب •

وكانت السيادة ـ أول الأمر ـ فى المدينة لليهود ثم قامت حروب انتهت بانتصار الأوس والخزرج وصاروا أعز أهل المدينة ، واتخذوا الحصون والأموال والقصور ورجوا حين لقوا الرسول فى موسم الحج ان يجمعهم على كلمة واحدة •

وتخطيط المدينة يختلف عن تخطيط مكة : ففى المدينة تنتشر الحصون والآطام (والآطام البناء المرتفع) • وكان لليهود حصونهم وللأوس والخزرج حصونهم فى عالية المدينة وسافلتها • وتعتمد الحصون على آبارها الخاصة لتوفير المياه فى الظروف العادية ووقت الحرب • واستفاد أهل المدينة من توفر الماء الجوفى فتعددت فيها الحصون والآطام وكثرت الدور والبساتين •

ويبدو من دراسة كتب السيرة أن المساكن كانت متقاربة بحيث أن اليهود لم يكونوا منفردين بجزء او أجزاء معينة من المدينة وان كانوا متركزين فى الجنوب والشرق ـ أى فى العالية ، بينما كان الأوس والخزرج منتشرين فى كل من العالية والسافلة • يدلنا على هذا ان النبى عليه الصلاة والسلام بعد انتصار المسلمين فى غزوة بدر أرسل زيد بن حارثة الى اهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة الى أهل العالية بشيرين الى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل (ابن هشام ٣ : ٥٥) •

واليهود جاءوا من الشام ومعهم بذور حضارة زراعية تجارية ، والأوس والخزرج جاءوا من اليمن حيث حضارة زراعية تجارية لها عراقتها ومنزلتها فى الجزيرة العربية • ولذلك كان من الطبيعى أن يكون هناك تنافس على موارد المياه • ومن هنا تبدو ميزة الأجزاء الجنوبية والشرقية حيث عوالى المدينة واذا ما كان اليهود متركزين فى هذه الاجزاء ولهم فيها حصونهم وقصورهم وآطامهم ومزارعهم وأسواقهم وفى الحصون أسلحة من سيوف ودروع ورماح فانهم بهذا يستطيعون أن يحققوا لانفسهم ما يأتى :

١ ـ السيطرة على موارد المياه فى المدينة أو على الاقل السيطرة على أفضل الاجزاء المروية ، والقدرة على التحكم فيما يهبط من عالية المدينة الى سافلتها من الماء ، ويشتد هذا الخطر حين يقل المطر بحيث يصبح من الممكن أن تصاب بساتين السافلة بخطر محقق اذا ما حبس أهل العالية الماء حتى يأخذوا حاجتهم •

٢ ـ السيطرة على المواقع الحاكمة فى المدينة فى الجنوب والشرق ، وهى فى نفس الوقت أغنى أجزائها وأوفرها ماء •

٣ ـ ترتبط بهذا قوة اقتصادية ظل لها خطرها حتى بعد أن قوى مركز الأوس والخزرج ، وبقيت آثارها تعمل فى المدينة حتى اجلاهم النبى صلى الله عليه وسلم عنها •

الجبهة الداخلية :

ولقد كان فى اليهود اعتزاز بقوتهم واستهانة حتى بأساليب العرب فى القتال • وعبروا عن هذا فى وضوح عندما دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بعد غزوة بدر ، فقالوا له فى سوق بنى قينقاع يامحمد ! انك ترى أنا قومك • لا يغرنك انك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس » •

فلاهم أسلموا ولاهم خضعوا عمليا وانما أرادوا أن يبقوا فى المدينة ، لهم فيها ما يمكن أن نعتبره نظاما وفاقيا (فدراليا) •

ولا شك فى أن مشكلة اليهود كانت أكثر تعقيدا من أى مشكلة أخرى قابلها النبى صلى الله عليه وسلم فى تنظيم حياة المدينة • وكان الحصن الأول الذى يقى المسلمين من أخطارها ايمانهم بربهم وطاعتهم لنبيهم طاعة تشمل الاذعان الظاهرى والانقياد القلبى •• انقيادا ليس فيه حرج ولا ضيق • وبين الله ان هذا طريق النجاة فى قوله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء : ٦٥)

ايمان ينبغى أن يرتفع فوق الثارات والأحقاد القديمة التى حاول اليهود اثارتها بين الأوس والخزرج حين رأوا التفافهم حول نبيهم ، وافلحوا فى هذا مرة حتى كاد القوم أن يتقاتلوا وتواعدوا الى الحرة • فجاءهم النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يسكنهم ويقول « ابدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم ؟ » وتلا عليهم قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » (آل عمران : ١٠٣) •

واخاء ينبغى أن يضم المهاجرين والأنصار يسجله الله فى قوله تعالى واصفا الأنصار « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ، يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (الحشر : ٩) •

ومع أن النبى عليه الصلاة والسلام عقد عهدا بين المهاجرين والانصار واليهود ، الا أن التجربة العملية اثبتت نكث اليهود بالعهود وانهم كانوا يتربصون الدوائر بالمسلمين ويحاولون ان يفرقوا كلمتهم كما تعاونوا مع اعدائهم •

فكيف قابل الرسول هذا الخطر الجاثم فى المدينة ؟ نترك الاجابة عن هذا السؤال الى قريب •

الجبهة الخارجية :

وكان هناك خطر آخر يتمثل فى قريش ومن معها أو حالفها من القبائل • وقريش كانت لها منزلتها الدينية فى الجزيرة العربية وتشددها فى أمر الدين وارتباطها الوثيق بالبيت الحرام حتى سموا الحمس (أى المتشددون فى أمر دينهم) • ولم يكن من اليسير عليها أن ترى قوة الاسلام تزداد وتشتد فى

المدينة وهى على طريق تجارتها مع الشام ، تستطيع أن تهدده كما حدث قبيل غزوة بدر .. فاذا أضفنا الى العاملين الدينى والاقتصادى مايصيب مكانة قريش من اهتزاز نتيجة ارتفاع شأن الاسلام ان ظلت على كفرها ، استطعنا ان نرى بعض الخيوط التى تسج منها التاريخ احداث الأعوام الحاسمة التى قضاها النبى عليه الصلاة والسلام فى المدينة .

فقريش اذن كانت لها روابطها التجارية مع الشمال والجنوب ، تستطيع أن توفر بها ما تحتاج اليه من سلاح وعدة حرب ، ولها نظامها الاجتماعى الذى تستطيع به أن توزع الأعباء فى المعارك مع الاسلام ، ولها علاقاتها التجارية مع المدن والقرى الواقعة على الطريق التجارى ، ولها زعامتها التى تستطيع أن تجمع بها قوى خطيرة تقابل بها الاسلام والمسلمين .

ولا شك فى أن أخطر الخطر أن يتجمع على الرسول ضغط خارجى تمثله قريش ومن حالفها وضغط داخلى يمارسه اليهود ، وأن يكون ذلك باتفاق بين القوى الداخلية والخارجية ..

وبين هذين الخطرين الكبيرين كان على النبى عليه الصلاة والسلام أن يقود المسلمين حتى يأمنوا فى المدينة أمنا حقيقيا دائما .

ولم يكن خطر اليهود مقتصرا على من يساكنون النبى فى المدينة ، وانما الذين سكنوا الأرض الزراعية فى خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى ولهم فيها حصونهم وقوتهم المادية وقدرتهم على ايواء من يخرج على النبى من يهود المدينة .

مراحل الجهاد :

فى هذا الضوء نستطيع أن نقسم مراحل الجهاد التى خاضها المسلمون الى ثلاث :

١ ــ ما قبل غزوة الاحزاب

٢ ــ غزوة الاحزاب

٣ ــ ما بعد غزوة الاحزاب . وهذه المرحلة الاخيرة يمكن أن نميز فيها خطتين :

(أ) الخطة الشمالية لتصفية مشكلة اليهود

(ب) الخطة الجنوبية لتصفية مشكلة قريش

ويبدو من هذا التقسيم أن ذروته الخطرة كانت غزوة الاحزاب فى العام الخامس .ولنعرض لمعالم هذه المراحل فى ايجاز .

ماقبل غزوة الاحزاب :

أهم ما تتميز به هذه المرحلة ان خطة النبى عليه الصلاة والسلام كانت تقضى بأن يقابل كل عدو من أعدائه على حده .

ورغم المعاهدة التى عقدها بين المهاجرين والانصار واليهود ، فان مشكلات نجمت احتاجت الى قرارات لاحقة من النبى (ص) ، وأهم هذه المشكلات ماارتبط بتوزيع المياه . كما ذكرنا من قبل .من ذلك مايرويه يحيى بن آدم القرشى عن أبى مالك بن ثعلبة عن أبيه قال : اختصم الى رسول الله (ص) فى مهزور وادى بنى قريظة ، فقضى أن الماء الى الكعبين لا يحبس الأعلى على الاسفل ..

(كتاب الخراج ليحيى بن آدم ص ١٠٠ ط السلفية) ويذكر يحيى بن آدم فى هذا الباب عدة أحاديث حول الاختصام فى مياه الأودية حتى بين المسلمين من المهاجرين والانصار .. فعن عروة بن الزبير قال : خاصم رجل من الانصار من بنى أمية (وهم بطن من الأوس غير الأمويين القرشيين) الزبير فى شرج من شروج الحرة (والشرج بفتح الشين واسكان الراء مسيل الماء من الحرة) فقال رسول الله (ص) أشرب (أى اسق) يازبير ثم خل سبيل الماء ، فقال الذى من بنى أمية : العدل يارسول الله وان كان ابن عمتك (يقصد تحديد المقدار اللازم للسقى وان كان معروفا) فتغير وجه رسول الله (ص) حتى عرف أن قد ساءه ماقال ، فقال : يازبير احبس الماء حتى يبلغ الكعبين ــ أو قال الجدر ــ (وهو مارفع من أعضاد المزرعة لتمسك الماء كالجدار) ثم خل سبيل الماء... (ص ١٠٦ ، ١٠٧)

هذا الى ماكان ينجم من مشكلات يثيرها اليهود والمنافقون تؤثر على الحياة اليومية فى المدينة ، كما تؤثر على نتائج الغزوات وتغير موازين القوى .

واذا كان النبى (ص) قد بدأ بارسال السرايا يتحسس بها الجو حوله ويرصد حركات قريش ، لئلا تؤخذ المدينة على غرة ، فان غزوة بدر الكبرى كانت معركة فاصلة بين المسلمين وقريش . ولا شك فى

انها تركت أثرا عميقا على اليهود ، حاولوا أن يقللوا من شأنه بالتهوين من أمر المعركة كما سبقت الاشارة الى ذلك عندما جمعهم النبى (ص) فى سوق بنى قينقاع ، ووصل التهوين الى الاستهزاء بحرمات المسلمين فى السوق مما أدى الى اراقة دماء من الطرفين كان من أمرها أن حاصر النبى يهود بنى قينقاع فى ديارهم داخل المدينة وأمرهم النبى بالخروج من المدينة ، فخرجوا منها الى وادى القرى وبقوا فيه زمنا حتى تركوه الى الشام ، وبذلك تخلص الرسول من احدى القوى اليهودية الثلاث فى المدينة وبقى يهود بنى النضير وبنى قريظة .

واستطاع الرسول بعد هزيمة قريش فى بدر أن يسيطر على الطريق التجارى الموصل الى الشام ،ولم يبق أمام قريش الا الطريق التجارى الجنوبى مع الحبشة .

وحاولت قريش ان تستعيد مكانتها فى غزوة أحد، واختلفت فيها الآراء ورجع المنافقون فى ثلث الجيش عن الرسول ، وفقد المسلمون فيها واحدا وسبعين شهيدا .

وانتهز يهود بنى النضير هذه الفرصة وارادوا أن يقتلوا رسول الله بطريقة ماكرة عندما ذهب اليهم يستعين بهم فى دية قتيلين معاهدين للمسلمين . ورجع الرسول وأرسل اليهم يأمرهم بالخروج من المدينة وحاول اليهود الاستعانة بالمنافقين ، ولكن الرسول حاصر حصون بنى النضير وانتهى الأمر بتشديد الحصار وخضوع اليهود لأمر الرسول بالخروج . وخرج بعضهم الى خيبر والبعض الى الشام .

وبهذا استطاع الرسول أن يتخلص من القوة اليهودية الثانية : بنى النضير ، ولم تبق الا القوة الثالثة فى ضواحى المدينة وهى بنو قريظة .

غزوة الأحزاب :

ومن المنتظر أن نجد تعاونا وثيقا بين قريش وحلفائها واليهود على مهاجمة المدينة والقضاء على قاعدة الاسلام . وكأنهم ارادوا بهذا أن يهاجموا القاعدة ويفوتوا على الرسول فرصة مهاجمة القوى المعادية واحدة بعد الاخرى .

ولم تبد من بنى قريظة حركة أول الأمر ، وانما الذي نشط له في سفور هم يهود بني النضير بعد الجلاء عن المدينة وتعاونوا مع قريش وحلفائها من غطفان وأشجع وسليم وبنى أسد ..

واتبع المسلمون فيها ما أشار به سلمان الفارسى من حفر خندق فى الجزء الشمالى من المدينة على أن تحميها الحرتان من شرق وغرب والحصون القوية فى الأجزاء الجنوبية والشرقية .

اى أن جزءا من تمام الدفاع عن المدينة كان معتمدا على العهد الذى بين النبى وبنى قريظة وهم من بقى من اليهود وكانت منازلهم وحصونهم فى الجنوب الشرقى من المدينة .

ونستطيع أن نتصور خطورة الموقف : المنافقون يتسللون من الرسول فى حفر الخندق ، المطر والبرد وقلة القوت . قوى الاحزاب المتجمعة التى تريد مهاجمة الخندق ، موقف يصفه الله بقوله « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا» (الاحزاب : ٩ ـ ١١)

ونستطيع أن نتصور نتيجة اختراق الخندق ، أو نقض بنى قريظة لعهدهم وسماحهم بمرور الاحزاب من أرضهم ، أو انقضاضهم على الرسول فى هذا الموقف الحرج . والذى صنعه نعيم بن مسعود من ايقاع الفرقة بين بنى قريظة وقريش معروف فى كتب السيرة . واستطاع نعيم أن يجعل الشك يدب فى النفوس وهبت ريح قوية اقتلعت الخيام وكفأت القدور وتراجع الاحزاب عن المدينة ، وانكشف أمر بنى قريظة وما كانت تبيته من غدر وما دار بينها وبين قريش من تآمر .

وعند انسحاب الاحزاب لم يطو رسول الله لواء الجيش رغم ما لقيه المسلمون ، وانما دعاهم فورا الى الذهاب الى حصون بنى قريظة ، وكان موقفها ـ لو نجحت فى متابعته ـ كفيلا بالقضاء التام على المسلمين .

وحكم سعد بن معاذ سيد الاوس فى الأمر وقد رضيه الجميع حكما فقتل المقاتلون وقسمت الأموال وسبيت الذرارى والنساء ..

وبهذا استطاع الرسول تطهير المدينة نهائيا من اليهود .. ولم تبق الا الحصون الشمالية : فى خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى .

« البقية على صفحة ٢٢ »

روح العدالة واحترام العهود
فى الهدن والمعاهدات الإسلامية

بقلم : محمد عبد الغنى حسن

ان نظرة شاملة على ما عقده العرب والمسلمون من مهادنات ومعاهدات خلال التاريخ العربى الاسلامى كله تؤكد لنا تلك الروح العادلة المنصفة التى كانت تطبعها بطابعها كما تؤكد من جانب آخر شدة حرص العرب على عهودهم ، واحترامهم لمواثيقهم ٠

وما قامت معاهدة ولا مهادنة بين مسلم وغير مسلم الا كان العدل ضمانا لهذه المعاهدة ، وسياجا لها ، وكان الانصاف والسماحة رائدها ، وكانت روح المعاونة والمصادقة والمصافاة هى السائدة فيها ، الغالبة عليها ٠

ويصادفنا فى تاريخ العرب والاسلام أول كتاب سياسى دبلوماسى عقد بين أتباع محمد عليه السلام من ناحية ، وبين يثرب ومن تبعهم من ناحية أخرى ، وكان ذلك فى أول العهد بيثرب بعد هجرة الرسول من مكة الى المدينة ٠ وكان من نصوص ذلك العهد انه لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ٠ وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس ٠ وأن من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة ــ أى المساواة فى المعاملة ــ غير مظلومين ولا متناصر عليهم ٠ وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذا العهد ، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها ٠

وقد اشتملت هذه الصحيفة على مبادىء عادلة لاقرار حرية الاعتقاد ، وحرية الرأى ، وحرمة المدينة وحرمة التملك الخاص ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة والبغى والعدوان ٠فكانت أروع مثل للعدالة الاسلامية فى العهود والمواثيق والاتفاقيات ٠

ومن عجيب أمر هذه الوثيقة السياسية الأولى فى الاسلام أن بعض اليهود لم يشتركوا فى توقيعها ، وكأنهم كانوا على شك من صدق نيات المسلمين ،فلما أبانت معاملة الاسلام فى أول عهده بالمدينة عن مثالية رفيعة فى العدل والانصاف واحترام العهود جاء هؤلاء اليهود الذين لم يشتركوا فى هذه الصحيفة فعقدوا مع النبى عليه السلام صحائف وعهودا مثلها ٠ وكان ممن فعل ذلك بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع ٠

ويؤكد لنا تاريخ العرب والاسلام ان العرب والمسلمين لا يقدمون على توقيع مهادنة أو كتابة صلح الا بعد احاطة تامة ، وفهم دقيق للظروف المحيطة بهم ٠ ففى « صلح الحديبية » الذى عقد فى السنة السادسة من الهجرة بين المسلمين ومشركى قريش كان هناك نص على أنه من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم ٠ ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ٠٠٠ ويلاحظ فى هذا الشرط أن هناك عدم تكافؤ بين المسلمين وبين قريش ، مما جعل بعض المسلمين يعترضون على هذا النص لانعدام الكفاءة فيه ٠ ولكن النبى عليه السلام كان ينظر الى المسالة بنظرة أبعد وأعمق من هذا ٠٠٠ فقد كان من رايه أن من ارتد عن الاسلام ولجأ الى قريش ، لم يكن خليقا بان يحرص على أن يعود الى جماعة المسلمين ، وأن من أسلم وحاول اللحاق بمحمد فسيجعل الله له مخرجا ٠

وتتجلى روح العدالة الاسلامية فى كل صلح او معاهدة عقدها النبى وخلفاؤه ورجال المسلمين مع غيرهم من أهل الملل الاخرى غير الاسلامية ٠ ففى معاهدة النبى عليه السلام مع أهل « أيلة » أكد لهم (انه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر) ، فكفل لهم حرية ورود الماء من أى نبع ٠ وحرية اختيار الطريق من اى مسار ، سواء أكان ذلك فى البر أم فى البحر ٠ ويلاحظ أن اشتراط البحر هنا فيه مراعاة للظروف الجغرافية الطبيعية التى يقع فيها الطرف الآخر من العقد ٠

وفى معاهدته عليه السلام مع أهل « مقنا » ضمن لهم أن « من أطلع مقنا بخير فهو خير له ، ومن أطلعهم بشر فهو شر له » ٠ وفى نسخة أخرى لهذه المعاهدة

برواية أخرى ، ضمن لهم ألا يفترى عليهم بالفحشاء ، واذا استعانوا يعانون ، واذا استرفدوا يرفدون ، كما ضمن الأمان التام لمن سافر منهم ، وحرية الدين لمن أقام على دينه ٠

وفى المعاهدة التى عقدها النبى عليه السلام مع نصارى نجران ، أخذ عليهم عهـــد الله وذمة نبيه : (ولنجران وحاشيتها ، جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ، على أموالهم وأنفسهم ، وملتهم وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبيعهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، لا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبـانيته ، ولا كاهن من كهــانته وليس عليهم دنية ، ولا دم جاهلية ، ولا يحشرون ، ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ٠ ومن سأل منهم حقا ، فبينهم النصف ، غير ظالمين ولا مظلومين ٠٠٠ ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر) ٠

وحينما التحق النبى بالرفيق الأعلى ٠ وجاء بعده ابو بكر الصديق خليفة للمسلمين ، رأى رضى الله عنه بثاقب فكره ، وحسن معدلته ، أن يطمئن اهل نجران على ما كان من عهد النبى لهم ، وكتابه معهم. فكتب لهم كتابا يجدد فيه العهد لهم ، وفاء لهم بما عاهدهم به النبى من قبل ، وكانت صيغة هذا العهد كما يلى :

(هذا ما كتب عبد الله ابو بكر ، خليفة محمد النبى رسول الله ، لأهل نجران : أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ، على أنفسهم ، وأرضهم ، وملتهم ، وأموالهم ، وحاشــيتهم ، وعبــادتهم ، وغائبهم ، وشــاهدهم ، وأســاقفتهم ، ورهبــانهم وبيعهم ، وكل ماتحت أيديهم من قليـــل وكثير ٠ لا يحشرون ، ولا يغير أسقف من أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، وفاء لهم بـــكل ما كتب لهم محمد النبى) ٠

وحتى حين قضــت الظروف السياســـية ورعاية مصلحة الاســـلام والمسلمين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب باجلاء نصارى نجران عن أرضهم ، فقد رأى عمر أن يكون برا بهم، عطوفا عليهم، مراعيا لمصلحتهم، مجتنبا المضرة لهم ٠ فبدلهم من أرضهم أرضا ، ومن ديارهم في نجران ديارا أخرى خارج شبه الجزيرة العربية ، وأوصى أمراء المســلمين بهم ممن يمرون عليهم في طريق جلائهم عن ديارهم ، وأكد نصرتهم على كل من يتصــدى لهم بظلم ٠ وكان عهــده فى ذلك مثــلا على أعدل العهـــود فى الاســلام حيث

قال فيه : (هــذا ما كتب عمــر أمير المؤمنين لأهل نجران : من سار منهم فهو آمن بأمان الله ، لا يضره أحد من المسلمين ، وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبى، وأبو بكر ، أما بعد : فمن مروا به من أمراء الشام والعراق ، فليوسعهم من حرث الأرض ٠ فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله ، وعقبة لهم مكان أرضهم ، لا سبيل عليهم فيه لأحد ، ولا مغرم ٠ أما بعد ! فمن حضرهم من رجل مسلم ، فلينصرهم على من ظلمهم ، فانهم أقوام لهم الذمة ، وجزيتهم عنهم متروكة اربعة وعشرين شهرا ، من بعد أن يقدموا ، ولا يكلفــوا ، الا من صنعهم البر ، غير مظلومين ، ولا معتدى عليهم) ٠

ولم يحد المسلمون بعد ذلك عن النهج القويم فى العدالة الاسلامية فى عقد المعاهدات مع غير المسلمين٠ ولم تحملهم عزة الغالب ، ولا نشوة الفاتح الظافر على التخلى عن تلك الروح الاسلامية العادلة أينمـا حلوا ، وفى أى أرض نزلوا ٠ سواء أكان ذلك فى الشام أم فى مصر أم فى العراق أم فى فارس أم فى الشمال الافريقى ٠

ففى السنة التاسعة عشرة من الهجرة وفى عهد الفتوح العـربية الاســلامية ببلاد الفــرس ، نرى « النعمان بن مقــرن » يعقد معــاهدة مع أهل « ماه بهراذان » يجرى نصها هكذا : (أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم لا يغيرون عن ملة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ما أدوا الجزية فى كل سنة الى من وليهم ٠٠٠) ثم نرى قائدا آخر من قواد المسلمين فى فتوح فارس يعقد معاهدة مع أهل أصفهان وما حواليها يقول فيها : (أنكم آمنون ما أديتم الجزية بقدر طاقتكم فى كل سنة ، تؤدونها الى الذى يلى بلادكم عن كل حالم ، ودلالة المسلم ، واصلاح طريقه ، وقراه يوما وليلة ، وحملان الراجل الى مرحلة ٠ لا تســلطوا على مســلم ، وللمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم ٠ ولكم الأمان ما فعلتم ٠٠)

وحين فتح القائد العربى المسلم «**سويد بن مقرن**» بلاد جرجان عقد مع ملكها وأهلها مهادنة يقول فيها: (ان لكم الذمة ، وعلينا المنعـة ، على أن عليكم من الجزاء فى كل سنة على قدر طاقتكم على كل حالم ٠ ومن استعنا به منكم فله جزاؤه فى معونته عوضا من جزائه ٠ ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم ٠ ولا يغير شيء من ذلك هو اليهم ما أدوا، وأرشدوا ابن السبيل ، ونصحوا ، وقروا المسلمين، ولم يبد منهم اسلال ولا اغلال ٠٠)

فانت ترى أن الفاتح العربى المسلم يحتاط لنفسه ولمأمنه دائما فى مهادناته مع غير المسلمين ، ولكن على أن لا يجور عليهم ، أو ينتقصهم حقا من حقوقهم ، بل يعطيهم من الجزاء على ما يقومون به من أعمال للمسلمين ما تنتفى معه اساءة الاستعمال ، وسوء الاستغلال

وحينما فتح « **حبيب بن مسلمة** » بلاد « دبيل » فى أرمينيا ، جرى على نهج المسلمين فى معاهداتهم من تأمين الخائف ، وتأمين المالك ، وتأمين أصحاب المتاع والأموال ، وتأمين غير المسلمين على كل ما لهم من مال ومتاع ودين ونفس ، فنراه يكتب لهم فى معاهدته معهم : (من حبيب بن مسلمة ، لنصارى « دبيل » ، ومجوسها ، ويهودها ، وشاهدهم ، وغائبهم :

انى امنتكم على أنفسكم واموالكم وكنائسكم وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فانتم آمنون . وعلينا الوفاء لكم بالعهد ما وفيتم ، وأديتم الجزية والخراج .

ثم نرى هذا القائد العربى المسلم مرة أخرى فى معاهدة له مع أهل تفليس حين فتحها ، يقول فيها : (هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تفليس ، من ارض الهرمز ، بالأمان لكم ولأولادكم ولأهاليكم ، وصوامعكم وبيعكم ودينكم وصلواتكم ..) .

وكان المسلمون يتشددون فى رعاية حلفائهم والمعاهدين معهم من غير المسلمين ، والمحافظة على أمنهم وسلمهم ومالهم ، حتى لقد بالغ المسلمون فى أثناء حروبهم مع الفرنجة والصليبيين فى هذه الرعاية ودفع الأذى والمضرة عنهم الى حد أن السلطان الظاهر بيبرس المملوك المصرى لما عقد معاهدة مع الفرنج الاستبارية فى سنة ٦٦٩ هـ جعل فيها نصا بتوقيع العقوبة الشديدة على كل مسلم تصدر منه أذية لغير المسلمين . وكان هذا النص كما يلى : (وعلى أن أى مسلم تصدر منه أذية ، يحكم فيه بما يقتضيه الشرع الشريف فى تأديبه ، يعتمد ذلك فيه نائبنا ، من شنق يجب عليه ، أو قطع . أو [illegible] الشرع الشريف فى تأديبه ، يعتمد ذلك فيه نائبنا ، من لا يعمل ذلك الا بحضور نائب من جهة بيت الاستبار أى الفرنجة)

وهكذا دائما وعلى مر العصور تتمثل عدالة المسلمين فى معاهداتهم ومهاداناتهم .

« **محمد عبد الغنى حسن** »

« **بقية المنشور على صفحة ١٩** »

مابعد الاحزاب :

وهنا نجد تغييرا فى خطة النبى عليه الصلاة والسلام .. كيف يستطيع أن يفصل بين اليهود وقريش ويحول دون لقائهم وتعاونهم ؟ لقد تحددت الجبهات : جبهة شمال المدينة فيها اليهود من أهلها ومن انضم اليهم ممن أخرجوا من المدينة ، وجبهة جنوبى المدينة فيها قريش وحلفاؤها ومن بقى بغير اسلام من القبائل القوية كثقيف .

وهنا تبرز أهمية صلح الحديبية والعهد بين الرسول وقريش على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ..

الا يكفى بعض هذه السنوات لوقف قريش ؟ فى هذه الفترة اتجه الرسول الى الجبهة الشمالية واستطاع أن يصفيها وأن يخضع حصون خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى . وكانت حروبا عنيفة ضارية ولكن لم يكن أمام اليهود الا التسليم وأبقاهم الرسول فى أرضهم وله نصف المحصول وله حق اخراجهم ..

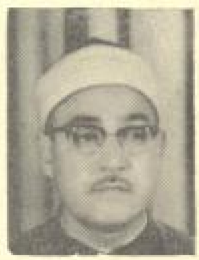
ولم تطق قريش صبرا فنقضت العهد ، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام الرسول الى مكة .. ولقد كانت القوة الضاربة للرسول من القوة بحيث حقنت الدماء ، ورأت قريش أن لا فائدة من المقاومة ،وعاد الاسلام الى مكة بعد ثمان سنوات من هجرة الرسول منها ..

وتتابعت بعد هذا غزوات حنين والطائف فى الجبهة الجنوبية . وكانت تبوك آخر الغزوات الكبرى فى الجبهة الشمالية شارف منه الاسلام حدود الروم واقترب من حدود فارس ، أما العرب فدخلوا فى دين الله أفواجا .

يبدو من هذا الترابط القوى بين نتيجة غزوة الاحزاب والخطة التى اتبعها الرسول . فى جبهتى الشمال والجنوب ، كما يبدو أن غزوة الاحزاب ذاتها كانت نتيجة لما اتبعه الرسول من قبل من خطط فى حرب أعدائه الداخليين والخارجيين ، ويبدو الترابط الشامل بين مراحل الجهاد التى خاضها المسلمون ، حتى استطاعوا أن يجعلوا المدينة قاعدة الاسلام !

« **د . عبد العزيز كامل** »

نبوة وكتاب وأمة وارثة



بقلم : محمد الغزالي

النبوة هبة لا كسب، فضل يتنزل من الله لا شأو يسعى اليه البشر ..

والأنبياء قبل أن يبعثوا لا يخطر بأنفسهم شيء عن مستقبلهم المغيب ولا يتشوفون الى وحى أو يرتقبون مجيء ملك .

ووقت الاختيار الأعلى ، ومكانه ، ليس اليهم فى قليل أو كثير ، وقد جاء فى القرآن الكريم هذا الخطاب المبين « وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك » .

ومن هنا كانت حياة الأنبياء قبل استقبال الوحى لا تتجاوز أشخاصهم أعنى ليست مناط تشريع ولا مصدر أسوة ..

وكل مايقال فى أشخاص الأنبياء أن معادنهم النفسية والفكرية لابد أن تكون من طراز يكافىء الوظائف الجسام التى توكل اليهم ، وأن حياتهم الاولى تمهيد صالح لما يوشك أن يظهر على أيديهم ويربط الأمم بهم ..

والأربعون سنة الأولى من حياة محمد عليه الصلاة والسلام جاءت على هذا الغرار ..

انسان يعيش فى مكة يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لايعرف بثروة ظاهرة ، أو قدرة خارقة . ولكن الذى يتفق عليه العدو والصديق ، ويبلغ فى ثبوته عين اليقين ، أن ثروته من الفضائل كانت رابية ، وأن رجولته التقى فيها ما يعرف العرب وفوق مايعرفون من مروءة ونبل ، ومجادة وسيادة ..

والأوج الذى عاش فيه محمد قبل بعثته هو الذى أخرس خصومه الناقمين يوم أعلن حربه الهائلة على الوثنية وآثارها .. الاجتماعية والسياسية .

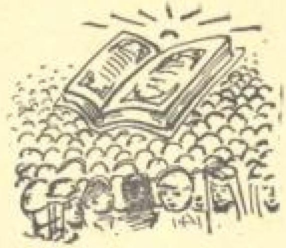
لقد هاجموه بكل سلاح وكان غيظ قلوبهم شديدا ، ومع ذلك فقد انقطعت الأمانى دون غمزه بشىء قط ، تصريحا أو تلميحا .

كان رواء الصدق يتألق فى جبينه أبدا ، ما تخلف فى جاهلية ولا اسلام .

ونستطيع أن نصف هذه السنين الأربعين بأنها تمثل حياة رجل نقى المعدن ، شريف السيرة ، يعرف بكل خير ، ولا يعرف بشر أبدا ، يكابد السعى وراء رزقه ، فيرعى الغنم صغيرا ، ويضرب فى الأرض كبيرا .

والاختلاط بالناس فى هذه الميادين امتحان قاس للنفس البشرية وقد خرج محمد من هذه الظروف جميعا ، موفور العصمة والفطنة ، عايش قومه فى نطاق الضرورة الماسة ، واعتزلهم فى جبال مكة ينشد فى صمتها وعزلتها راحة القلب واللب ، حتى تجلى عليه الحق فى غار حراء .

ويومئذ عرف أن رب العالمين قد اصطفاه لأمر عظيم ! لقد أضحى واحدا من أنبياء الله ، بل ان الأمر على مر الأيام قد بدا أعظم من ذلك ، ان الوحى الذى استقبل كلماته الاولى كان طليعة رسالة تستغرق الدهور الباقية من عمر الحياة ،



وتستوعب القارات الغاصة بالعمران ، وتتناول شئون الناس بالتوجيه والفتوى ، فلا تترك عقدة مبهمة ، ولا طريقا حائرة ، « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين » .

وكما يتحول الجنين ـ بعد نفخ الروح فيه ـ خلقا آخر ، تتحول حياة المرسلين ـ بعد استقبال الوحي ـ نسقا آخر ، لحمته وسداه هذا الضياء الهادى الهابط من السماء .

ومحمد عليه الصلاة والسلام عندما شرع يستدرج القرآن بين جنبيه كان قبل غيره من الناس أول من ينتفع ويرتفع بما تضمنته من صدق وجلال ، وخير ومرحمة .

ان الرجل الذى خلت فطرته من شهوات الأرض وأكدار الدنيا ، انتشرت فى أرجائه الباطنة شعاعات الوحي ، فهى تبرق فى شمائله ومسالكه كما تتلألأ الآفاق فى ضحوة صاحية صافية ... وقد أومأت السيدة عائشة الى هذا المعنى عندما سئلت عن خلق رسول الله فقالت : كان خلقه القرآن !

اننا نقف عند هذه العبارة طويلا لندرك غورها ..

فالقرآن قبل أن يكون معجزة الرسالة الخاتمة هو مجمع ما حفلت به من عقائد وعبادات وآداب ومعاملات ، وما استعرضته من قصص ، وبراهين ، ونظرات كونية ونفسية .

ونبى القرآن كان فى حياته الخاصة المثال الاول، والأزكى ، والأرقى ، لكل ما وصى به الله ، ووجه اليه العباد .

امر الله بفرائض ، وحث على نوافل ، واحل حلالا ، وحرم حراما ، ووضع حدودا وساق عبرا ، انك واجد ذلك كله « نظريا » فى كتاب الله ، ولكنك واجد التنفيذ « العملى » له ظاهرا وباطنا فى سيرة محمد نبى القرآن .

فمعرفة الله مثلا أمر عام للخلائق كافة ، بيد ان العارف الاعظم لله ، والذى تتضح هذه المعرفة على سريرته وعلانيته ، وتطرد من بؤرة الشعور الى حاشية الشعور الى شبه الشعور الى اللاشعور ، المعرفة فى أوجها المطلق وقمتها الفارعة ، تبدو أول ما تبدو فى خلق محمد .

والصلاة مثلا فريضة عامة على المؤمنين ، بيد ان المصلى الساجد القلب قبل الجوارح ، القرير العين بين يدى ربه كلما اذن مؤذن للصلاة ، المستريح اليها من وعثاء الدنيا ومشاغل التراب ، الصادح بها فى هداة الليل ، ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ... هو محمد نبى القرآن .

ان أشخاص الأنبياء ليست جسورا لهدايات السماء وحسب ، كلا ، انهم ترجمة عملية لمراد الله من خلقه .

ويمتاز محمد عليه الصلاة والسلام بانه قدم للبشر كافة اكبر مجموعة من النماذج العملية للانسانية الفاضلة ، والعبودية المخلصة .

والثلاث وعشرون سنة التى استوعبت نزول القرآن الكريم استوعبت كذلك أطوار سيرة عامرة بالحب والبغض فى الله ، بالسلم والحرب ، بالشدة والرخاء ، بالسفر والاقامة ، بمعاناة كل ما يعرو النفس الانسانية من أحوال ، وما يفرض عليها من قيود ، وما تمحص به من تجارب .

ومن هنا كانت سيرة الرسول وسنته من قول او فعل أو حكم أو تقرير دينا يتبع ، فما كان منها قرآنا فهو ظاهر ، والا فهو نضح التخلق بالقرآن، والاصطباغ بهداه ، والاستقامة مع غاياته .

وانى لأشعر بكلال ذهنى وأنا اتصور هذا الرسول يحفظ احرف الوحي فى السور الطوال التى تنزل عليه ، ثم بعد هذا الاستظهار الرائق ، تبدأ « عملية » تحويل القرآن الى خلق شخصى ، ومسلك نفسى ، واجتماعى ، وهى عملية تصاحب تلاوته على الناس ، واخذهم بحدوده ومعالمه وحلاله وحرامه .

لقد صح أن سورة الانعام نزلت جملة واحدة !!

أى وعى حاد مستوفز التقط هذه الصفحات

الطوال ، واستطال اشراقه حتى احاط بها بدءا ونهاية ، وامتد انتباهه حتى بقى التسجيل دون أن يفلت حرف أو تغيب كلمة ؟؟؟ .

ثم تتجاوز ذلك المظهر لتلقى الوحى ، الى استثارة صاحبه به ، واقامة حياته خلجة خلجة ، وخطوة خطوة على أساسه .

فهو يتقلب فى جو من مصاحبة الله ، كما ينطلق احدنا فى طريق مشمس طويل مغمورا بوضح النهار من كل ناحية .

ولقد صور القرآن الكريم طبيعة الخلق النبوى الشامل ، فى هذه الآية « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك امرت وانا اول المسلمين » .

ابلغت الانسانية فى واحد من ابنائها مثل هذا المجد السامق ؟ مجد الاستغراق فى الحق والانطباع باياته ، والانطلاق بها فى جنبات الأرض لتكون شريعة حاكمة ، وبصيرة هادية ؟

هذا وايك المجد ، الذى عرفه التاريخ لمحمد، وقدمه به على المتقدمين والمتاخرين ...

وانتقل محمد الى الرفيق الأعلى ، ولكنه بقى كتابا وسنة بين ظهرانى الناس ، فقد طبع على غراره جمهورا من اصحابه كانت اخلاقهم القرآن، يتلونه بالسنتهم ويحيون به فى شئونهم كلها .

فمنه عقائدهم الدافعة ، وضمائرهم الوازعة ، ومثلهم الحادية ، وشرائعهم الحانية ، وتقاليدهم الضابطة ، وموازينهم لكل ما يجد من احداث .

انه يعقد صلتهم بربهم وبانفسهم وبالناس اجمعين .

ورسالة الاسلام لا يحصرها زمان ولا مكان ، ولا تحتبس فى أفق من أحوال البشر وتدع افقا آخر ، وهذا الشمول ظاهر فى سور الكتاب ، وسنة الرسول ، وعمل الاصحاب .

ووسيلته الفذه امة من الناس خلقها القرآن ، تفقهه نصوصا ، وتستبطنه شمائل ، وتقيمه شرائع وشعائر ...

تتعلم من رسولها ما تعلمه هذا الرسول من ربه ثم تقدمه للناس علما وعملا ! تلك وظيفة الأمة الاسلامية « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

واتصال هذه الأمة بغيرها ليس اتصال اللسان البليغ أو القلم الساحر ، كلا انه اتصال الأسوة الحسنة ، والنموذج المعجب ، وما يكون الوحى الالهى الا كذلك « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وكانوا لنا عابدين » ..

ليت شعرى ، أاصيب المسلمون اليوم بفقدان الذاكرة ، فجهلوا انفسهم ونسوا رسالتهم الانسانية الرفيعة ؟ أم تطاول عليهم العمر فتبلدت المشاعر وقست القلوب ؟ .

سواء كان هذا أم ذاك فالأمر يحتاج الى تجديد او توكيد حتى تعرف الأمة الكبيرة وظيفتها بوضوح ..

ان الله مذ عزل عن اليهود الوحى ، وأبعد عنهم النبوة ، واصبحت قصة الشعب المختار فى خبر كان ، وتولى قياد العالم جنس جديد ، أو دم جديد ، قوامه امة تقدس الحق ، وتصون آياته ، وترفع فى الارض راياته .

وفى هذه الأمة المختارة على انقاض الماضى البعيد وذكرياته ، يقول الله جل شأنه « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله، ذلك هو الفضل الكبير » .

وظاهر من صدر الآية ان الامة الاسلامية مصطفاة من بين الامم ، وانها مسئولة عن الميراث النفيس الذى آل اليها ، وأن تبعاتها امام الله جسيمة بازاء هذا الاختيار الأعلى ، وامام الكتاب الضخم الذى اختتم به الوحى ، ووكل اليها درسه ونشره وكلفت ان تحيا به وتحيا له ..

نعم ، ان أمتنا ورثت منصب الرسالة بعد موت الرسول ، لانها ورثت الكتاب الذى جاء به ليخرج الناس من الظلمات الى النور .

وواجبها الأكبر ، بل لب وجودها أن تقود باسم الله قافلة البشر قيادة تحفظ على العالم الهدى

والتقى والعفاف والغنى ، وتقى حضارته الزيغ والاثرة والعدوان والضر .

ولا يجوز لشعب ما أن يزعم أنه مختار من السماء لمعنى مبهم ، أو تفضيل مجرد ، فهذا كذب على الله ، وانما تفضل امة غيرها بمدى ما تملك من قدرة على النفع ، ورحمة للعالمين .

وأسلافنا الأوائل أسدوا للحياة أيادى بيضاء جعلتهم طليعتها المرموقة قرونا عددا .. ثم وهنت الكواهل والضمائر عن حمل اللواء فأصابنا ما أصابنا ..

ولكى ننهض بوظيفتنا العتيدة يجب ان نستجمع خلالا عدة ، وأن نسابق الزمن حتى نغطى فترة التخلف الماضية ، وحتى نصل قبل أن يستمكن العميان من قيادة الدنيا الى الهاوية .

ومرة اخرى نلفت الانظار الى معنى التخلق بالقرآن ، ان الاخلاق كما قيل هى اللغة العالمية التى يستطيع أهل الارض على اختلاف السنتهم ان يتعارفوا بها .

ولقد يلتقى رجلان لا يفهم احدهما لغة الآخر، ولكن تنعقد بينهما مودة غالية ، لأن المسلك الرفيع ربط بين قلبيهما .

وهل نشر أسلافنا الكبار من صحابة وتابعين دينهم بين أشتات الشعوب الا بهذه اللغة الواضحة ؟ .

كان الناس يرمقونهم عن بعد ، أو يخالطونهم عن قرب فيرون الايدى المتوضئة تعف عن الشبهات بله الدنايا ، ويرون من سناء قلوبهم ورقة طباعهم وعدالة حكمهم ونزاهة نياتهم ما يدفعهم الى الدخول فى دين الله افواجا ..

ومن هنا فان المسلمين لن تنهض لهم حجة ما بقوا أمما متخلفة ، متفرقة ، لا تعرف القرآن الا أمانى جوفاء .

ومن حق العالم ان ينأى بجانبه عنهم ، ووزر انحرافه عن صراط الله عندئذ واقع أكثره على ورثة الكتاب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ..

فى أحيان كثيرة يخامرنى احساس باننا نحن المسلمين مسئولون قدرا ما ، عما شاع فى العالم من كفر بالله ، والحاد فى آياته ، لأننا نملك المصباح المضىء ، ، ولكننا حجبنا نوره ، ووضعنا على زجاجته قتاما فما ينفذ منه شعاع ..

ثم ليسأل المسلمون انفسهم : ما مأتى هذا التخلف الشائن ، فى فقه الطبيعة ، واستكناه قوانينها ، واستخراج دفائنها ؟ .

ما هكذا كان أسلافهم ، ولا بهذا اوحى كتابهم!!

كيف وهو الكتاب الذى يؤسس اليقين على ركائز التفكر والبحث ، ويسخر لبنى آدم فجاج البر والبحر ، والأرض والسماء وما بينهما .

ان من التخلق بالقرآن ان يكون رقى المسلمين العلمى مكافئا لحديث كتابهم عن الكون وآياته ، والحياة وروائعها .

انهم بهذا التقدم العلمى يحبون على مستوى كتابهم ، ويقدرون على خدمة رسالته بما يتيحه التفوق العلمى من ابداع صناعى ، وتنظيم عمرانى.

ولنعترف بأن هناك مسلمين يتدحرجون على السفوح لا يدرون من أسرار الكون الكبير شيئا ، على حين استطاع أقوام لا يؤمنون بالله ، أو يؤمنون به على غموض وشرك ، استطاع هؤلاء وأولئك ، أن يقتربوا من فطرة القرآن بيقظتهم العقلية العارمة، وأن يحرزوا من التقدم المادى المجرد ، ما أثار فى الحياة الفتنة والحيرة .

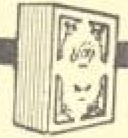
فان يك على هؤلاء حرج فالمسلمون المفرطون شركاؤهم فيه ، ومن يدرى ؟ ربما كان كفلهم منه أربى ...

لقد ورثنا النبوة والكتاب ، ترى هل سنسعد بهما ونسعد العالم معنا ام ماذا ؟ .

ان العرب اليوم على ابواب تجمع جديد ، ومستقبل ممتد .. وميراثنا مصون ، وتبعتنا بينة .. وصراعنا مع الاستعمار يجب أن يعتمد على كل ما لدينا من أسباب النصر وضمانات السماء .

« **محمد الغزالى** »

الفردية كما يصورها القرآن



بقلم على العمارى

- ٢ -

اثبت فى المقال السابق عن سياسة القرآن الكريم فى نقل الانسان من فرديته الأثرة الى جماعيته الخيرة.

وقلت ان السور الاولى التى نزلت بمكة سلكت لذلك وسيلتين ، احداهما تهجين حب المال ، حبا يجاوز الحد الذى يحسن أن يقف الانسان الخير عنده ، وثانيتهما العناية باليتيم ، وبالاحسان اليه .

وفى هذا المقال نواصل حديثنا عن منهج القرآن هذا ، وسيتضح لنا ان القرآن الكريم سلك سياسة حكيمة دقيقة فى مدافعة غريزة الفردية بغريزة أخرى رأى فى تنميتها اسعادا للبشرية ، وأنه لم يحاول أن يقضى على اى من الغريزتين ، ولكنه أراد تهذيبهما، ولما كانت غريزة الاثرة أقوى فى النفوس من غريزة الايثار كان من الطبيعى أن تتجه التربية القرآنية الى الحد من الغريزة الطاغية ، والى تنمية الغريزة الضامرة فى النفس الانسانية حتى تشتد وتقوى ، وتؤدى وظيفتها فى السير بالمجتمع الانسانى الى السمو والكمال ، والخير ، والفضيلة .

ومن أوائل السور نزولا سورة (العاديات) وفيها وصف الانسان بأنه شديد الحب للمال : (ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد) ، وسورة (الفجر) وفيها قوله تعالى : (وتأكلون التراث أكلا لما ، وتحبون المال حبا جما) .

والسياق فى الموضعين يجعل هذا الحب للمال غير محمود ، ذلك أنه اقترن فى السورة الاولى بجحود الانسان لنعمة ربه ، وفى السورة الثانية بأكل التراث أكلا لما .

على أن فى سورة (الفجر) توجيها آخر الى أن يفهم الانسان فهما صحيحا مكانة المال ، فالآيات تتحدث عن خطأ الانسان فى فهم الغاية من الانعام عليه ، ومن التقتير عليه ، اذا ضيق الله عليه فى الرزق ، فهو يظن أن الانعام عليه اكرام من الله له ، وايثار له عن غيره لمكانته – زعم – عند الله – ويظن فى قبض الرزق اهانة من الله لقدره ، وماذلك الا لهوانه على الله ، وتنبه الآيات الى أن هذا وذاك ليسا كما يزعم الانسان ، بل تشير الى أن فى عمل الانسان ماهو شر من هذا الاعتقاد : (فأما الانسان اذا ماابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ، وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن. كلا ، بل لا تكرمون اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين) .

ومن عناية السور الاولى من القرآن باليتيم ماجاء فى سورة (الضحى) ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى حين امتن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لايزال يواليه بنعمه ، وحبه ، وبأنه وجده يتيما فآواه الى عمه أبى طالب ، ووجده ضالا عن معالم النبوة ، وأحكام الشريعة فهداه اليهما ، ووجده فقيرا فأغناه بمال خديجة ، ومايسر له من الرزق ، حين امتن عليه بذلك أوصاه باليتامى والفقراء ، فقال عز وجل : (فأما اليتيم فلاتقهر ، وأما السائل فلاتنهر) .

وكما عنيت الآيات الاولى بالحث على اكرام اليتيم ، واعطائه حقه كاملا غير منقوص ، بل بالحث على منحه أكثر من حقه ، عنيت – كذلك – بالمسكين فحثت على الاحسان اليه ، احسانا غير مشوب ، واعتبرت الاحسان حقا له ، لاتفضلا عليه .

وهذا الوصف – وحده – (المسكين) كاف فى ترقيق القلوب ، وتحبيب بذل الحقوق الواجبة الى النفوس : (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) . (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) .

وبجانب الآيات السابقة نجد آيات أخرى نزلت في أول العهد بالبعثة المحمدية تبعث الخوف والقلق في نفوس المغالين في فرديتهم ،المتنكرين لحق اخوانهم المحاويج عندهم ، فقد جاء في سورة (المدثر) وهي السورة الرابعة في النزول - على ما هو المشهور في ترتيب نزول القرآن - : (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) .

فالناس كلهم مأخوذون في النار بذنوبهم الا اهل طاعة الله وخشيته ، فانهم ينعمون في الجنات ، ويسألون المجرمين عن الاسباب التي حبستهم في النار ، فيجيبهم هؤلاء بأن أسباب ذلك أربعة : تركهم الصلاة في الدنيا ، وتركهم اطعام المساكين ، وخوضهم في الباطل ، وتكذيبهم بيوم الجزاء .

فهذا موضع البخل على المساكين بين هذه الأوزار التي ارتكبها المجرمون في الدنيا ، ولعل أوجع ما وصف به هؤلاء ، واجدره بالوقوف عنده هذا الوصف القاسي المخيف : (المجرمون) ومهما قال الكتاب والشعراء في وصف الأثرة ، وحب الذات ، ومنع حق الفقير في مال الغني فانهم لن يبلغوا هذا الوصف : (الاجرام) .

فليس (المجرم) فقط هو الذي يقتل النفس بغير الحق ، ولا الذي يرتكب الفواحش ، وانما هو - أيضا - من يترك ما فرض الله عليه من صلاة ، وصدقة ، واتباع للحق ، وايمان بالبعث .

والقرآن الكريم لم يخف على الذين يطلب اليهم الايمان به أن تحول الانسان من طبع ورثه ، او غرسته في نفسه البيئة ، الى طبع آخر هو احب الى الله ، والى الانسانية ، لم يخف أن هذا التحول أمر شاق ، يحتاج الى مجاهدة وصبر ، وصدق ، فعبر عن الانفاق في وجوه الخير بأنه (عقبة) يجب على المؤمن بالله واليوم الآخر ان (يقتحمها) : (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة) .

ثم تكون الآيات المكية - بعد ذلك - والآيات المدنية على السواء : تسوس النفوس في هذا الخلق انجع سياسة ، وتتأتى لها من النواحي التي تستجيب لها طائعة راضية .

فنجد أكثر الآيات التي تحث على الاحسان تبدأ بذوي القربى، وتثنى باليتامى، وتثلث بالمساكين فاذا أضافت اليهم احدا بعد ذلك كان ممن يمت بصلة ما الى الباذل ، او ممن توجب الانسانية في معناه الاسمى لهم البذل والعطاء .

(واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنبوابن السبيل وما ملكت ايمانكم) .

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب) .

(واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين) .

(يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) .

وهكذا - في كثير من الآيات الاخرى ، وفي هذه الآيات - نجد الأمر بالاحسان يتجه أولا : الى (ذى القربى) . ولعل السر في ذلك أن الانسان يكون من اليسير عليه أن يصدر في أفعاله عن حبه لنفسه ، وعن رغبته في البقاء ، والاقرباء هم الذين يستنصر بهم الانسان ، ويقوى على أعدائه ، وهم الذين يعتمد عليهم في حماية نفسه وولده وماله ، فحين يؤمر بالاحسان اليهم يجد في نفسه دافعا قويا الى الاستجابة لهذا الامر ، بل هو يعطف عليهم ولو لم يأمره بذلك شرع أو قانون ، حفاظا على نفسه ، وتلبية لأواصر القرابة ، ووشيجة الدم ، ومن هنا قال الشاعر :

اذا كنت مرتاد الرجـــال لتفعهم
فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

فاذا استجاب الانسان لهـذه العاطفة .. عاطفة القرابة ، وبذل من ماله فى الاحسان الى ذوى قرباه حطم بعض السدود التى تحول بينه وبين الشعور بحق الجماعة عليه ، فيجد فى نفسه داعية الى أن يحسن الى اليتيم ، والى المسكين فاذا تكرر هـذا الاحسان منه أصبح خلقا ، وبعد المدى بين نفسه وبين (الفردية) البغيضة .

والقرآن الكريم ـ كما أشرت سابقا ـ حث على البذل فى أكثر من سبعين آية ، ولكنه حرص على شىء قد يغفل عنه الكثيرون ممن يحاولون علاج أدواء النفوس ، ذلك أنه لم يبغض الانسان فى المال ولم يحاول أن ينقله فجاة من طبيعته الى أعلى درجة فى السمو الانسانى ، لم يطالبه ـ باديء ذى بدء ـ بالايثار ، وهو درجة عظيمة من درجات السمو النفسى ، وانما ساير الانسان فوافقه على ما للمال من قيمة ، وما للاقتصاد من فائدة ، ثم حببه فى شىء من البذل لينال ثواب الخالق ، أو ثناء المخلوق ثم ارتفع به درجة فزين له أن البذل فى ذاته أمر محبوب ، وأخيرا انتهى به الى أن الايثار من خلق المؤمنين الصادقين ، وأنه مؤد لرضا الله ، وحبه .

واذا كان الشح هو الخليقة الغالبة على الطبيعة الانسانية بفعل الوراثة ، أو البيئة الفاسدة ، فان القرآن الكريم لم يترك هذه الخليقة تسيطر سيطرة كاملة على النفس البشرية ، لأنها ـ حينئذ ـ تترك خاضعة لشهواتها ، مستكينة لطبيعتها ، وانما عمل على تهذيب هذه الخليقة والحد من سلطانها فرسم للانسان طرقا ، ونهج له سبلا تعينه على أن يحرز الفضيلة ، ويسمو بطبيعته .

وهذا المنهج القرآنى يجعل للطبيعة متنفسا ، فهو لم يحاول أن يحبس طبيعة الشح ولا أية طبيعة أخرى شريرة داخل مرجل ، والا انفجرت من قوة الضغط ، فهو فى الوقت الذى يذم فيه الشح ، ويتوعد الاشحاء بعذاب الدنيا والآخرة ، يطلب من الانسان الا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويصف المال بأنه زينة الحياة الدنيا ، وزهرة الحياة الدنيا .

وهكذا فهم أتباع محمد مكانة البذل ، ومكانة الايثار ، دون أن تحدث فى نفوسهم هزات عنيفة من جراء الصراع بين ماكانوا يحسون به ـ وهم فى جاهليتهم ـ من حب شديد للمال ، وبين مادعوا اليه من البذل الذى يبلغ حد الايثار .

واتصل هذا الخلق فى اتباع هذا الدين حتى رأوه أمرا طبيعيا .

روى بعض العلماء قال : قال لى شاب من أهل بلخ : ما الزهد عندكم ؟ قلت : اذا وجدنا أكلنا ، واذا فقدنا صبرنا . فقال : هكذا عندنا كلاب بلخ ، بل الزهد : اذا فقدنا صبرنا ، واذا وجدنا آثرنا .

ولم ينكر هذا العالم على الشاب البلخى ماوصف به زهدهم ، لأن هذا هو أولى الاخلاق بالمؤمنين .

ان من يتأمل فى صنيع القرآن الكريم يجد فيه من الدقائق فى معالجة النفوس مالايمكن أن يكون الا من العليم بأسرارها ، الخبير بخفاياها ، وبهذه الدقائق تهيأ لهذا القرآن أن يجذب اليه الارواح ، وأن يستميل نحوه القلوب ، وأن ينفذ بتعاليمه الى صميم النفس الانسانية ، فلم يكن هناك حائل دون الاهتداء بهديه الا فساد بعض الفطر بما يسيطر عليها من تعاليم فاسدة ، أو تقاليد ضارة ، أو بيئة تبعث فيها الشر ، وتباعد بينها وبين الخير .

« على العمارى »



رجل الدين في أدبنا المعاصر

للدكتور: نجيب الكيلاني

لقد لعب الاستشراق دورا خطيرا في حياتنا الفكرية ، وبالذات في عديد من المصطلحات والقضايا التي تعتبر غريبة عن مفاهيمنا التاريخية والأدبية ، ولم يكن ذلك الخطر كامنا فيما يكتبه المستشرقون بأقلامهم عن طريق مباشر ، بل امتد الى بعض مثقفينا الذين أخذوا عنهم ، وتأثروا بهم ، فتلونت أفكارهم وكتاباتهم بالانحراف والزيف ..

وكلمة « **رجل الدين** » كلمة شائعة معروفة في أوربا ، ولها دلالاتها وظلالها المؤسفة ، وخاصة في تلك الأيام التي قاسى فيها أحرار الفكر في أوربا من عنت الكنيسة واضطهادها ، ما أثار عليهم موجة من التمرد والكراهية ، اذ اعتبروها عقبة في طريق التطور والابداع الفني والفكري ، وسوط عذاب ينصب على رأس كل مخترع أو كاشف عن حقائق الكون والحياة ..

* * *

ونحن — كأمة مسلمة — نقر بأن هناك علماء في الدين ، لا رجال دين ، اذ المعروف بداهة أن كل معتنق لدين يعتبر رجلا من رجاله .. ولقد حفلت الآداب الأوربية — وخاصة الأدب الفرنسي — بأنماط مختلفة من الشخصيات الروائية ، التي صورت في دقة واحكام ، ونالت من الشهرة والذيوع أكثر مما يناله بعض الأحياء من المشهورين والعظام ..

والقارىء لهذه الآداب .. وخاصة في مجال الرواية والمسرح — يلحظ ظاهرة هامة ، الا وهي تلك الصورة الشائنة لما يسمونه « **برجل الدين** » ، فهو مراء ، يظهر خلاف ما يبطن ، يمارس الفضائل قولا ، ويرتكب أقبح الرذائل فعلا ، بل ان بعض الروائيين يحرصون على اضفاء ثوب العفة والنبل والطهر على شخصيات مستهترة ضائعة متنكرة للقيم الروحية على طول الخط ..

وكتاب آخرون يجعلون من « رجل الدين » مناطا للجهل والجمود ، فيبدو لنا وكأنه يعيش في حقبة زمنية موغلة في القدم ، أو يحيا في جو فكري مغلق مظلم لا يتسرب اليه بصيص من نور أو معرفة ..

وغيرهم يعمدون الى جعل رجل الدين شعارا للبله والعته أو الشذوذ ، أو كائنا حالما منصرفا عن أهوال الواقع وصراعاته الصاخبة ..

* * *

وهكذا وصم رجل الدين في الآداب الغربية بوصمة الرياء والجهل والجمود والرجعية والدجل والشعوذة ، ولسنا من السذاجة بحيث نعتبر هذا الهجوم القاسي منصبا على طائفة بعينها ، أو على أشخاص بعينهم ، وانما التلويث سيمتد الى القيم التي يمثلها « رجال الدين » ، ويدعون الحفاظ عليها ، والتعبير عن فضائلها .. وهنا يكمن الخطر الأكبر ..

ولكي نكون منصفين مرة ثانية ، يجب الاعتراف بأن قصة الاضطهاد الديني في الغرب ، وما لقيه أعلام الفكر هناك من تعذيب وقتل وتشريد . قصة مؤلمة حقا ، وقد يكون التعبير الذي اختاره مفكروهم وفنانوهم متفقا — لحد ما — مع سخطهم على رجال الدين ذلك السخط القائم على أسباب تاريخية ، وأحداث دامية ...

* * *

ونظرا لأن المسرحية ، وكذلك الرواية بمعناها الحديث ، تعتبران فنا جديدا على الشرق ، بعد أن اتخذ مكانة كبرى بين ألوان فنونهم ، ونضج على أيديهم ، فقد تلقفه الشرقيون ، وساروا على منوالهم في مرحلة التقليد — أي قبل مرحلة الخلق والابتكار .. وليت الأمر وقف عند حد التتلمذ بالنسبة « للتكنيك » الفني ، بل تعداه الى استعارة شخصياتهم ، أعني تقاليدها ، فانتقلت بذلك عدوى

« رجل الدين » الى آدابنا سواء فى المسرح أم فى مجال الرواية والقصة القصيرة ، ودخل هذا المصطلح بيئتنا الفكرية ، برغم اختلاف الظروف التاريخية والسياسية بيننا وبين الغربيين ، اذ لم يكن لدينا ذلك الاضطهاد الذى حمل لواءه رجال الكنيسة فى أوربا .. ولم يكن لدينا نماذج تشبه راسبوتين ولا قسيس « أحدب نوتردام » .... الخ .

ولا يستطيع منصف أن ينكر دور علماء الدين – لا رجال الدين – على مدى حقب التاريخ الاسلامى ، فقد كانوا دعاة تحرر وعدل وتقدم ، بل ان مطارق الاضطهاد كانت تدق رءوسهم واعناقهم فى العصور المظلمة ، دون أن تلين لهم قناة ..

لكن عدوى التشويه انتقلت الينا على أيدى المستشرقين والمترجمين وأولئك المثقفين المتأثرين بالفكر الأوربى وقيمه – غثها وسمينها – فظهرت شخصية « رجل الدين » – كما يسمونها – مهتزة ممزقة ، تجتمع فيها المتناقضات ، ومظاهر الانحلال والنقص .. فالشيخ الشناوى فى قصة « الأرض » للقاص المبدع **عبد الرحمن الشرقاوى** ، يمثل رجل الدين فى تصوره وغبائه وبلاهته وضيق أفقه : والقاضى فى مسرحية « السلطان الحائر » **لتوفيق الحكيم** يظهر فى بداية الامر رجلا صلبا معتصما بالقانون ، ثم يتراجع ويضطرب قبيل النهاية .. والشيخ «الجنيدى» فى رواية اللص والكلاب **لنجيب محفوظ** رجل متصوف غارق فى شطحاته وأحلامه ، مندمج فى حلقة الذكر ، هو فى غيبوبته عن العالم الخارجى .. عن الواقع بكل مايصطخب فيه من أحداث تهز المجتمع هزا عنيفا.

ان لكل فنان الحق فى التعبير عن النماذج التى ينشئها خياله ، لكن هل الشيخ الشناوى يمثل حقيقة المثل العليا التى يزعم أنه يعبر عنها ؟؟

وهل القاضى فى مسرحية السلطان الحائر يتفق والوقائع التاريخية ، التى رويت عن العالم الجليل المناضل الحر « عز الدين بن عبد السلام » ؟؟ وهل التصوف على الوجه الذى رسمه نجيب محفوظ تعبير عن حقائق الدين الكلية ، ومرآة صادقة لمبادئه المرتبطة بواقع البشر وقضاياهم ؟؟

وهناك مئات من الامثلة لايتسع لها المقام ..

قد تغتفر هذه الزلات لو كانت نادرة ، لكن شيوعها وتشبث الكتاب بها ، وجعلها النموذج والمثال يجعلنا نقف أمامها فى اعتراض صلب . فلماذا لانعبر عن الشخصيات التى تشرق بطهر الدين ونقائه وفدائيته ؟؟ ولماذا لا نبرز القيم الخالدة المطرة التى كان لها أعمق الاثر فى سلوكنا ووجداننا ووجودنا ؟ ولماذا لانفرق بين الواقع التاريخى فى أوربا والواقع التاريخى عندنا ، ونستقى مفاهيمنا من وحى تحررنا الفكرى الذى لا يتتبع خطا المستشرقين ، ونزوات المقلدين ، ومخطط الملحدين الذين لايؤمنون بأية قيمة روحية خالدة ؟؟

ولايفوتنى فى هذه العجالة أن أشير الى مايبذله الكاتب المخلص الاستاذ **على احمد باكثير** من جهد دائب فى أعماله التاريخية سواء فى مجال المسرح أو فى مجال الرواية . لقد استطاع أن يخرج على النمط الذى رسمه لنا الفن الغربى فيما يتعلق بهذه الناحية . فقدم بعض العلماء فى كتاباته تقديما صادقا . ولم تستهوه طرافة الشخصيات وغرابتها تلك التى يعج بها الأدب الأوربى ، ويبدو أنه قد أدرك ماينطوى عليه هذا الاتجاه من خطر ، فاتخذ موقفا منصفا للواقع والتاريخ ..

ان واقع الامم الشرقية لم يخل من الشعوذة والدخل فى عصور الانحلال والوهن والزيغ العقائدى لقد كان «أبو الهدى الصيادى» نموذجا شاذا لعالم الدين ، لكن كان مقابل أبى الهدى – ابان اضمحلال الخلافة التركية – كثير من القادة والمفكرين الدينيين الذين أثروا حياتنا الفكرية والسياسية والاجتماعية بصائب آرائهم وعلمهم ، وحملتهم الشعواء على الانحراف والدجل والجمود ، منهم جمال الدين الافغانى ومحمد عبده والكواكبى ، وخيرة من علماء الهند والشام والمغرب ..

ان الذين اختارتهم الاقدار ليكونوا فى مكان الريادة الفكرية والادبية لجيلنا الحديث يجب أن يقدروا المسئولية المعنوية الملقاة على عاتقهم ،ويجب أن يكونوا أكثر وعيا وادراكا لما يحاك ضد تراثنا وحضارتنا العريقة من مكائد ومؤامرات ، فهذا الجيل المناضل ينظر الى ماتخطه أقلام مفكريه فى قداسة ويتقبل كلماتهم فى ثقة ، فمن الظلم أن نستغل ثقته ونستغل طيبته وبراءته ..

«د. نجيب الكيلانى»

إلى الأنبياء الثلاثة

للشاعر: صالح جبورت

يا حبيب الله يا عيسى انتبه ... ان في دينك رهطا أشقياء
دينك الرحمة والحب معا ... كيف في الغرب ادعاه الأدعياء؟
كيف لاذوا بك..من لم يؤمنوا ... بسماء أو سلام أو اخاء ؟
نصروا أعداءك الخبث على ... قومك المستضعفين البؤساء
جرعوا اهلك في القدس الردى ... صلبوهم..شردوهم في العراء
اهلك استجدوا.. فهلا صنتهم ... من شرى الجوع وانزلت «العشاء»؟

***

يا كليم الله يا موسى انتفض ... فعلى دينك في الأرض العفاء
رد أخبارك عنا ... انهم ... شبعوا في الارض بيعا وشراء
جئتهم انت بتوراة الهدى ... كيف باعوه بتوراة الثراء ؟
عبدوا الدولار ... ذلوا عنده ... لعبوا بالنار .. غالوا الأبرياء
نصبوا في حرم القدس الخنا ... وبنوا حانا وملهى للبغاء
والوصايا العشر لم يحفوا بها ... فهي بهتان ولغو وهراء
اطفاوا النور الذي جئت به ... هل لنور الله في الارض انطفاء؟

***

يا حبيب الله يا طه ابتهج ... انجز الأحرار ما شاء الدعاء
لو أطاق الذكر رفدا لاحتوى ... سورة الثورة ميلاد الرجاء
انها نور وعزم وهدى ... انها حق وعدل وبناء

ميلاد نجم

الجبل

للشاعر: سعد دعبيس

ذات يوم مغلف بالهوان ... ضائع في متاهة الأحزان
كان فيه الظلام وحش عذاب ... ينتشي من تعاسة الانسان
كان فيه الظلام وحش عذاب ... راقصا في الدماء والأكفان
عينه .. عينه .. براكين حقد ... ودماء . تعوى مع النيران
الف ظفر له ، والف ذراع ... تتلوى في ليله النشوان

آه .. كان الوجود غابة رعب   وعواء لوحشها الظمآن
آه .. كان الوجود نابا وظفرا   ودموعا فياضة الأشجان
آه .. كان الوجود سجنا كبيرا   ليس فيه حر سوى السجان
وضعوا القيد في يدى كل شيء   كل شيء حتى الهوى والأماني
كل شيء .. حتى الاله رأوه   من خلال القيود والقضبان
وضعوا الله في القيود فاسرى   تائها في معابد الأوثان
فجاة .. فجاة .. وذات مساء   مثقل بالقيود والأحزان
هفت الأنجم البعيدة نشوى   وتلاقت شفاهها في حنان
وسرى شوقها كئوس ضياء   في الجبال الشماء والوديان
فجاة .. فجاة تهاوت كئوس   من أيادي السقاة والندمان
وترامت فوق التراب دنان   عصرت خمرها يد الشيطان
وبدت حانة الطغاة كقبر   موحش صامت .. بلا ألحان
وتهاوت على الثرى راقصات   كتماثيل من قديم الزمان
فجاة .. فجاة .. تهاوت سياط   من يد عودت على الطغيان
من يد السيد الذى عاش عمرا   رسمته السياط في الأبدان
كل يوم فيه على ظهر عبد   فهو يقتات ادمع العبدان
فجاة .. فجاة اطل يتيم   ليفيء الحياة بالايمان
ليصير الوجود خفقة حب   وصفاء ينساب للوجدان
كان ميراثه دموع يتيم   رفرفت رحمة على الأكوان
لم تظلله في الطفولة أم   وصباه ماهدهدته يدان
انما عاش في الطفولة عزما   وكفاحا في موكب الرعيان
ومضى في الحياة نبع صفاء   وضياء ينير كل مكان
اليتيم .. اليتيم .. دك عروشا   وتهاوت له قوى الطغيان
عاصفا بالقيود ، بالكاهن الجـ   لاد ، بالوهم ، بالأسى ، بالهوان
بعبيد الأسى ، بمزرعة اليأ   س ، بقبر مقدس الأكفان
بالطواغيت ، بالكهانة ، بالجو   ع ، بظلم الانسان للانسان
أين كسرى وما بنته يداه   من عروش تختال في الايوان ؟
أين ماشاده قياصر « روما »   أين راحت مهابة التيجان !
دمرت .. دمرت وطاحت عروش   وطوتها عواصف النسيان
كان نبع الصباح كأس حنان   يتهادى للعالم الظمآن
كلكم اخوة .. فلا جنس يعلو   فوق جنس بالزيف والبهتان
راية الله وحدتكم جميعا   ان تكونوا موزعي الأوطان
عربي وأعجمي سواء   ابيض اسود هنا سيان
وطن الحر ليس أرضا وماء   او بيوتا رفيعة البنيان
حيث تسمو مبادئ ، حيث تعلو   راية الله .. هذه اوطاني
هكذا .. هكذا أطل يتيم   فتهاوت معاقل الطغيان
ايهذا اليتيم .. هذا نشيدى   منك ينساب عبقرى المعاني
لم يحطه من البلاغة سحر   لم تحطه زخارف الفنان
انما فاض من دموع غريب   بفلسطين ، ضائع الأوطان
من أسى القدس ، من تعاسة «يافا»   من ضحايا موتى بلا أكفان
من أغانى الكفاح فاض نشيدى   من أغاني الأحرار فاض بياني

سعد دعيبس



الله أعلم حيث يجعل رسالته

بقلم : عبد الكريم الخطيب

« هو الذى بعث فى الأميين رسـولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

داعية أمى .. ما قرأ كتابا . ولا خط بيمينه سطرا .

وقوم اميون .. أعراب بادية ، ورعاة ابل وشاء.

وموطن قفر جديب .. لايمسك ماء ، ولا يخرج حبا .

ماذا يقع فى تقديرك لدعوة أمى ، لقوم أميين ، فى موطن قفر جهول ؟

لا تجعل فى حسابك هنا أن الداعى هو محمد ، ولا أن القوم هم العرب ، ولا أن الموطن هو الجزيرة العربية ، بل اجعل نظرتك لأية داعيـة أمى ، لأى مجتمع يعيش عيش البادية ، ويحيا حياة الصحراء ، ثم انظر حينئذ فيما يقع فى تقديرك لدعـوة هذا الداعى ، فى بيئته تلك ، وفى أقوامه هؤلاء !

انه لايخرج بك التقدير لهذه الدعوة ـ فى أحسن أحوالها ـ عن أن تكون نسـمة عليلة ، هبت فى أعقاب يوم طويل من أيام السموم ، فاستروحت بها النفوس ساعة .. ثم ذهبت ، وذهب ريحها !

او أن تكون نغما شجيا فى وحشة الليل ، وفى هجمة سواده الحالك .. ثم لايلبث هـذا النغم أن يذوب ، ويطوى فى أحشاء هـذا السكون المطبق العميق !

او أن يكون دوحة ظليلة ، ينزل بهـا السفر المتعبون ساعة من نهار .. يتقون لفح الهـاجرة ، وسفع السموم .. ثم يتركونها ليركبوا طريقهم من جديد !

انه لن يكون لهذا الداعى ، فى هذه الاحوال ، وتلك المواطن الا هذا الاثر المحدود الموقوت ، الذى يلمع كما يلمع البرق فى سواد ليل بهيم ، ثم ينطفىء فى فحمة هذا الليل ، ويغوص فى ظلامه الدامس !

أرأيت الى الشعراء ، والمغنين ، والحداة ، وأرباب الآداب والفنون ، وفرسان الملاحم وأبطال الحروب ، وكل ما نبت على وجه الصحارى من مطرب ومعجب.. ماذا بقى فى هذه المواطن من آثار ؟ وماذا خلد من أعمال ؟ .. ذكريات عابرة ، وآثار باهتة ، ووقفات قصيرة يقفها المعجبون بتلك الآثار ، كما يقفون على الدمن والاطلال !

ولكن الامر يختلف اشد الاختـلاف ، ومحصل النظر يجىء بما لم يقع فى حساب أو تقدير ، حين يستقبل المرء بنظره مطلع « محمد » الأمى ، فى الامة العربية الأمية ، فى الصحراء العربية الماحلة !

هنالك ترى الداعى على غير ماعرف من الدعاة !

وهنالك نجد الصحراء ، وساكني الصحراء على غير ما عرفت الحياة من الصحارى ، وأبناء الصحارى !
ومن ثم كان هذا « المحصول » الموفور من معطيات الخير ، وثمراته ، فيما غرس الداعي من غراس ، وفيما أخرجت الارض من طيبات ، وفيما حصل الناس من خير ، وما بلغوا من كمال .. كل ذلك قد جاء على أتم وأكمل ما قدر للبشرية في هذه الحياة ، من تمام ، وكمال .
وندع كل امى .. غير « محمد » ..
وندع كل صحراء ، وكل من يسكن الصحراء .. غير صحراء العرب ، وسكان صحراء العرب ..

ندع هذا كله ، ولا نطيل الوقوف عنده ، ولا نردد النظر اليه .. فانا لن نحصل على شيء ذى بال .. مهما طال وقوفنا ، وكثر ترداد نظرنا .. اذ لاجديد بعد النظرة الاولى فى وجه هذا القفر ، الذى يطوى فى كيانه كل شيء ، ويضم الداعي ومن دعا !
وليكن وقوفنا كله عند هذا الداعي .. العربى ، الامى .. وعند هؤلاء العرب الأميين .. فى هذا الموطن الجديب الذى استوطنوه !
فماذا هناك ؟
هناك .. آيات بينات ، ومعجزات قاهرات ، وأحداث خطيرة مثيرة ، وانقلاب عام شامل .. فى ماديات الحياة ومعنوياتها جميعا ..
نبى أمى .. وقوم أميون .. وأرض كالحة مغبرة .. وحياة غليظة جافية ..

ومع هذا .. فانه من كل هذه « الاميات » مجتمعات .. تلد الحياة أكرم وأعظم مواليدها ، وتخرج فى الناس أروع وأطيب ثمراتها .. فتتفجر ينابيع العلم والحكمة ، من فم هذا النبى الأمى ، فتقع فى قلوب الناس وفى عقولهم موقع الماء الغدق فى الارض الموات .. فاذا الناس غير الناس ، واذا الحياة غير الحياة ، واذا أعراب البادية ، ورعاة الابل ، شامة فى الناس ، وأساتذة فى العلم ، وساسة للأمم ، واذا هذا البلد القفر مطلع النور ، ومشرق الهدى ، ومهوى الأفئدة ، وقبلة أنظار العالم ، وموضع اهتمامه .. من عدو وصديق !

وانه لمن غير الطبيعى أن تجتمع هذه « الأميات » كلها فى موطن واحد ، وتلتقى على طريق واحد ، ثم يكون منها هذا الفتح المبين ، فى ميادين الخير والفلاح كلها .. فى العلم ، وفى الخلق ، وفى السياسة ، والاجتماع ، والعمران ، وفى كل ما يسمو بالانسان ويرفع قدره ، ويحفظ عليه وجوده الكريم فى الدنيا ويفتح له الطريق السوى القويم الى مرضاة الله ورضوانه .. فى الآخرة ! من غير الطبيعى أن يكون لهذه « الأميات » من الخير ، والكمال ، والسمو فى اجتماعها مالم يكن لأضدادها من العلم ، والخصب ، والرخاء .. مجتمعة أو متفرقة !

فما كان لداعية غير أمى ، بلغ ما بلغ فى العلم والحكمة .. فى أمة متحضرة ، تزخر بالمدارس والجامعات ، وتفيض بالخيرات والثمرات — أن يجيء بالقليل مما جاء به هذا النبى الامى .. من علم وحكمة ، ولا أن تثمر دعوته بعض هذا الثمر الطيب الكريم المبارك الذى اخرجته الجزيرة العربية من بين صخورها ورمالها ، وانضجته على سمومها ، وزمهرها !

هذا هو واقع الحياة التى يحياها الناس .. فلا يستوى الخصب والجديب ، ولا يتعادل البدو والحضر ، ولا يتوازن القارىء الكاتب ، والامى الذى لا يقرأ ولا يكتب !

ذلك اذا جرت الحياة فى طريقها المرسوم ،وجاءت على ما اعتاد الناس أن تجيء .. ولكن حين يصطفى الله — سبحانه وتعالى — من يصطفى من عباده لرسالة تتبدل بها وجوه الحياة ، وتتحول بها أحوال الناس — حينذاك تنتصب لذلك أسباب خفية لانعلمها فتهيىء لهذا المصطفى سبل الخير ، وتفتح له طرق النجاح ، من حيث لاينتظر الناس ، ولايتوقعون !
وقد تحدث كثير من كتاب السيرة النبوية ورواتها عن عجائب كثيرة ، ومشاهد خارقة مثيرة ، صحبت مولد النبى ، يريد أن يجعل منها هؤلاء الكتاب ، واولئك الرواة شواهد قائمة على تأكيد نبوة النبى ، وليقيموا منها دلائل على أنه مؤيد بالمعجزات من قبل أن يأتيه الوحى ، ويدعى لحمل رسالة السماء .

ولو استطاع تفكير هؤلاء ، واولئك أن يسعفهم بالصورة التى يخرج بها « محمد » عن أن يولد لأبوين كما يولد الناس ، وأن يجوع كما يجوع الناس ، وأن يألم كما يألمون ، ويحزن ويفرح كما يحزنون ويفرحون — لو استطاع تفكيرهم أن يقع بهم على تلك الصورة التى يخرج بها النبى عن طبيعة البشر ، وأن يعلو بها على هذه الضرورات وما اليها لفعلوا هذا ، ولرأينا فى السيرة النبوية اضافات كثيرة ، ومقولات متعددة تحدث به ، وتقيم الادلة له!

وإذ لم يكن من المستطاع انكار هذا الواقع الذى رآه الناس رأى العين ، وعاشوا فيه ومعه من أن « محمدا » قد حملت به آمنة بنت وهب ، من أبيه عبد الله بن عبد المطلب ٠٠ وولدته طفلا ٠٠ ثم كان له رضاعة وفطام ، وكان له صبا ، وشباب ، واكتهال ٠٠ وكان له فى كل هذه الادوار : نوم ، ويقظة ، وطعام وشراب ، وصحة ومرض ، ورضى ، وغضب ، وغدو ورواح ، الى أن بلغ الكتاب أجله ، وجاءه رسول السماء ينبئه أنه نبى الله ورسوله — نقول : انه اذ لم يكن من المستطاع انكار هذا الواقع الذى عاش فيه « محمد » ، وشهدت به الحياة ووعاه التاريخ ، فقد كان من المستطاع أن يلون كتاب السيرة المحمدية ورواتها هذا الواقع بألوان وأصباغ مختلفة من نضيج عواطفهم ، ونطف مشاعرهم وأن يجلبوا له كل ما يقع لأيديهم ، مما يرضى نفوسهم ، ويثلج صدورهم !

وقد كان للخيال هنا دوره فى ارضاء المشاعر الدينية واسعافها بالصور والمشاهد التى تروق وتعجب ، فظهر من أجل ذلك ما ظهر فى السيرة النبوية من عجائب وغرائب ، يقف العقل ازاءها موقف الحذر والشك ، لما يبدو فى وجوه أكثر هذه المرويات من صنعة وافتعال ، ومن تزييف وتلفيق ، لا يلبث أن ينكشف عند النظر الباحث المتفحص !

وليس ثمة شك أو مراء فى أن حياة النبى مليئة بالروائع والمعجبات من كل ما هو رائع ومعجب ، مما تحتمله النفس البشرية ، وما تبلغه من كمال وجلال ٠٠ فى الخلق والخلق ، وفى العقل والروح ، وفى كل ما يكمل به الانسان ويجمل !

ليس ثمة شك فى هذا ، فمحمد هو من الصفوة المصطفاة من عباد الله ، الذين أعدهم الله لحمل رسالة السماء ، والقيام بتلك السفارة الكريمة بينه وبين عباده ٠٠ ولكن محمدا مع كل هذا ، ومع ما ألبسه الله من أثواب العظمة ، وما خلع عليه من حلل الكمال ، هو الانسان البشر ، الذى لم يخرج عن مسلاخ الانسانية ، ولم يتعد حدود البشرية ٠ !

ولقد حرص القرآن الكريم على أن يؤكد هذه الحقيقة ، ويمكن لها فى عقول المسلمين وقلوبهم ، فقال تعالى : هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ٠٠ » وقال سبحانه : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ٠٠ »

وبشرية « محمد » وتصفيتها من الشوائب ، وتنقيتها من الأكدار التى تعلق بالناس ، وتفسد عليهم فطرتهم — هذه البشرية النقية المصفاة هى أمل الانسانية ورجاؤها ، وهى الشهادة القائمة لها فى الملأ الأعلى ، تحدث بما بلغ الانسان من سمو وعظمة، وأن له بهذا أن يطاول عالم الحق والنور ، وان تكن نسبته الى الماء والطين !!

فمحمد — صلوات الله وسلامه عليه — فى غنى عن تلك الأثواب ، والمرقعات التى تنسجها له **عواطف** ساذجة بلهاء ، تتصيدها من هنا وهناك ، وتستجلبها من قريب وبعيد ، وتنظر اليه من خلالها نظرا سقيما معلولا ، يطمس معالم البشرية ، ويخفى وجوه الانسانية فى هذا الانسان ٠٠ البشر ٠٠ الرسول !

وماذا يراد لمحمد من سمو ، وعظمة ، وكمال ، وجلال ، غير ما بلغ من سمو وعظمة ، وكمال وجلال؟ وهل وراء مابلغ من ذلك شىء تطمع فيه نفس ، أو يتشوف اليه قلب ؟

اى انسان فى هذا الوجود الانسانى كله يقف الى جانب هذا «الأمى» الذى أحدث هذا الانقلاب العظيم فى قلب الصحراء ، فأخرج من بين أحجارها ورمالها أمة يصفها الله سبحانه وتعالى بقوله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ٠٠ » ٠٠ انها الأمة التى صنعها محمد بيده ، وقام عليها يرعاها ويؤدبها بأدب السماء ، الذى تلقاه من ربه ٠٠ آية آية ، وسورة سورة ؟

وماذا يراد لمحمد أن يقدم من دلائل النبوة وشواهدها غير هذا الكتاب الكريم الخالد ؟

ان هذا الكتاب هو المعجزة المتحدية القاهرة ٠٠ فى شكلها وموضوعها !

فما كان للعرب قبل هذا الكتاب كتاب !

انه أول مخطوط يشكل كتابا ، تجده الأمة العربية بين يديها !

وممن يجىء هذا الكتاب ؟

من « أمى » ماتلا كتابا ، ولاخط بيمينه سطرا !

والى من هذا الكتاب ؟

الى قوم اميين لايحفلون كثيرا بامر الكتاب ، ولا يهتمون له !

وكل ماعندهم من موارد المعرفة مختزن فى ذاكرتهم ، جار على السنتهم !

فظهور هذا الكتاب - على هذه السعة ، وهذا الامتداد - هو فى ذاته معجزة متحدية ، وظاهرة خارقة لناموس الحياة فى هذا الموطن ، وفى هؤلاء الاميين الجاهليين !

فكيف وهذا الكتاب وما حوى من علم ، وحكمة ، وتشريع ، وادب ، واخلاق ، وفلسفة ، وسياسة ، وكل ماينتظم شئون الحياة ، ويقيم موازين العدل والحق ، والخير فيها ؟

فمن شاء أن يشهد معجزة النبى أو معجزاته فهذا هو القرآن الكريم ٠٠ انه هو معجزة النبى ٠٠ المعجزة التى قامت عليها دعوته ، واستقامت بها حجته ، واتتمت اليها رسالته ٠

فالقرآن الكريم - من بين الكتب السماوية - ليس كتاب شريعة وحسب ، وانما هو كتاب شريعة ودلائل نبوة ٠

وليس كذلك الكتب السماوية الاخرى ، حيث جاءت كتب الانبياء وصحفهم محمولة فى يد ، بينما يحملون فى اليد الأخرى معجزات مادية ، تحدث بصدقهم ، وتشهد لنبوتهم ٠

وقد جاءت الرسالة الاسلامية فى أسلوب غير هذا الاسلوب ٠٠ جاءت بكتاب يشرع شريعة كاملة ، تتناول كل مايمس حياة الانسان الروحية ، والعقلية والمادية ، فى جانبيها الدنيوى والأخروى ، ثم كان فى كيان هذا الكتاب الدلائل الناطقة بصدقه ، والشواهد القائمة على أنه من عند الله ، وأن الرسول الذى جاء به هو رسول الله !

ومجىء القرآن الكريم على تلك الصورة الفريدة قد جعل له سلطانا على العقول والقلوب ، بما أودع فيه من صور الاعجاز التى يشهدها كل من يتصل به قارئا أو مستمعا ، ويجدها فى كل آية من آياته ، من غير أن يكون فى زمن نبوة ، أو بين يدى نبى !

ونود أن نلفت النظر هنا الى حقيقة ربما خفيت ، او خفى بعض وجوهها ٠ وهى ان اعجاز القرآن على تلك الصفة القاهرة لم يخفف من مهمة الرسول الكريم فى اداء رسالته ، وفى تجلية حقيقتها للناس بل ان الرسالة التى تجىء مع تلك الصورة فتحمل اعجازها فى طياتها ، وفى ثنايا حروفها وكلماتها ، هى فى حاجة اشد الحاجة الى مبلغ يتخير لها من بين الصفوة الكرام فى الرسل ، ليستطيع أن يفتح لها القلوب ، ويوجه اليها العقول ، ويهيىء لها مكانا آمنا مستقرا فى الحياة ، لتظل هكذا أبد الدهر ، مصدر اشعاع للمؤمنين ، ومنار هدى للسالكين !

ولو لم يكن من وراء القرآن الكريم تلك الشخصية العظيمة التى حملته الى الناس ، تغاديهم به وتراوحهم نحوا من ثلاث وعشرين سنة ، لظل القرآن - ان يكن قدر له وجود على تلك الصورة - لظل كنزا مخبوءا لا يعرف الناس ما يضم من خير ، وما يحوى من رحمة وهدى ٠

ان أنفاس الرسول الكريم لتسرى فى آيات الكتاب الكريم ، آية آية ، وكلمة كلمة ، وان شميم سيرته الطيبة ليفوح كما يفوح الند ، كلما تحركت الشفاه بكلمات الله وآياته !

يدعى المستشرقون ، وكثير من علماء الغرب وفلاسفته أن القرآن من عمل محمد ، وتلك دعوى ان صحت كان محمد الها أو شبه اله بهذا الكتاب الذى تحدى الانس والجن ان يأتوا بمثله ، فى أى زمان واى مكان : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ٠

ولكن « **محمدا** » لا يدعى هذه الدعوى لنفسه ولا يدعيها له أحد من اتباعه ٠٠ انما هو عبد من عباد الله ، ورسول من رسل الله ٠ !

انها قضية ، يقول المستشرقون ومن اليهم يقول فيها ، ويقول القرآن ومحمد واتباع محمد يقول غير هذا القول !

وهذا القرآن بين يدى الناس ، وفى معرض التحدى ٠٠ فان جاءت الايام بكتاب مثله كان ذلك حكما قاطعا على أنه من عمل بشر ٠٠ والا فستظل دعوى محمد وأتباع محمد حاكمة متحكمة ، تخرس الالسنة ، وتجدع الانوف ؟ ٠

« **عبد الكريم الخطيب** »

الاحتفال بالمولد النبوي

بقلم : حسن عبد الوهاب

ان الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم ، احتفاء بذكرى أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلمون للوصول الى التخلق بأشرف الاخلاق، وأحسن مدرسة يجب أن يتعلموا فيها كيف يكون الصدق فى القول والاخلاص فى العمل .

وقد اهتم علماء الاسلام فى مختلف الاقطار بمولده الشريف وسيرته العاطرة . فوضعوا المؤلفات الكثيرة التى تناولت مولده وحياته الشريفة المملوءة بالجد ، والحكمة ، والسياسة ، والصبر ، والثبات ، حتى هزم الشرك ورفع راية الاسلام .

لذلك كانت ذكرى مولده عيدا يحتفل به المسلمون فى كل عام . لانها أجمل ذكرى للثبات على الحق ، والجهاد فى سبيل الله « **لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » .

ولد صلى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الاول ، وكان فى فصل الربيع .

وللمرحوم محمود باشا الفلكى ، بحث دقيق فى تحقيق يوم مولده صلى الله عليه وسلم ، استخلص منه أنه ولد يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ١٢ ابريل سنة ٥٧١ م .

وكان اهل مكة يزورون موضع ولادته فى ميعاد ولادته من كل عام . وفى هذا معنى من معانى التكريم والاهتمام بالآثار .

وقد اهتمت الدول الاسلامية بتكريم هذا اليوم واحيائه ، بل واحياء الايام التى قيل انه ولد فيها ، حتى بلغ من عناية بعضها الاحتفال من أول شهر ربيع ، وزاد بعضهم أسبوعا بعد الثانى عشر منه ، حيث كانت توزع الصدقات ، ويتلى القرآن ، واشترك الملوك مع الشعب فى تعظيمه واجلاله .

وقد اشاد كثير من المؤرخين ، بعناية الملك المعظم مظفر الدين صاحب مدينة أربل بحفلات المولد الشريف ، حسب مشاهدتهم لها ، فى القرنين السادس والسابع الهجرى ـ الثالث عشر والرابع عشر الميلادى .

ولما كان عليه هذا الاحتفال من روعة ، فقد كان سكان البلاد حول اربل ، مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ، ونصيبين ، من فقهاء وصوفية ووعاظ وقراء وشعراء ، يتوافدون عليها ابتداء من المحرم الى أوائل شهر ربيع . وفى هذا الوقت يأمر مظفر الدين باقامة قباب من الخشب لأعيان دولته وأمرائها ، وعلى رأسها قبة له . كما تقام قباب أخرى تخصص لفرق الاغانى ولاعبى خيال الظل وأصحاب الملاهى . فاذا كان أول شهر صفر ، زينوا تلك القباب بأنواع الزينة ، وتشترك البلاد فى الاحتفال بالمولد .

وكانت القباب تقام من باب القلعة الى باب الخانقاه المجاور للميدان ، ويخصص الميدان للوعاظ والقراء واستعراض الجيش ، وقبته مشرفة عليه .

وكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف أمام كل قبة مستعرضا ما فيها حتى ينتهى به

المطاف الى الخانقاه ، فيبيت فيها مستمعا الى تلاوة القرآن ، وأذكار الصوفية ، والى الحديث الشريف . وعقب صلاة الصبح يخرج الى الصيد ثم يعود الى القلعة قبل الظهر ، وهكذا كل يوم الى ليلة المولد .

وكان يعمله سنة فى ثامن الشهر ، وسنة فى ثانى عشره ، لأجل الاختلاف الذى فيه . فاذا كان قبل المولد بيومين أمر باخراج عدد كبير من الابل والبقر والغنم فى احتفال تتقدمه الموسيقى وتتخلله الاغانى وبقية الملاهى حتى تصل الى الميدان ، ثم يشرعون فى نحرها وارسالها الى المطابخ هنـــاك لطهى أنواع المأكولات .

وفى ليلة المولد وعقب صلاة المغرب فى القلعة يستمع الى تلاوة القرآن وقصة المولد الشريف ، ثم ينزل وبين يديه الشـــموع المشتعلة ، ومن بينهـا شمعتان أو أربع من الشـموع الموكبية حتى ينتهى الى الخانقاه . فاذا كان صـــبيحة يوم المولد ، أمر بصرف الخلع من القلعة الى صوفية الخـــانقاه لكل منهم « بقجة » فيتسلمونها . ثم ينزل الى الخانقاه ويجتمع الأعيـــان ورجال الدولة حول الوعاظ ، ويجلس مظفــر الدين فى برج خشبى أعد له ، به شـــبابيك تشرف على الوعـــاظ والمجتمعين حولهم وبالكشك شبابيك أخر تشرف على الميدان لاستعراض الجند . وبعد فراغه من الاستعراض يمد سماط عام فى هذا الميدان يباح للجميع ، ويمد سماط آخر فى الخانقاه للخاصـة والقراء والوعاظ والشـعراء ، وتصرف لهم الهبات . فاذا انتهى موسـم الاحتفال استعدوا للعودة الى بلادهم مزودين بالنفقة والهبات .

وقد حضر هذا الاحتفال أبو الخطاب بن دحية ، ولما رآه من اهتمـــام مظفر الدين به ألف كتاب : « التنوير فى مولد السراج المنير » ، وقد كافأه عليه بألف دينار .

فى تونس :

ومن أعياد تونس المشهورة ليلة المولد الشريف . وأول من عنى بتعظيمها فى البلاد المغربية السلطان أبو عنان المرينى ، ثم اقتدى به بنو أبى حفص فى الديار التونسية . ويعتبر الاحتفال بهذه الليلة من أعظم حفلاتهم ، حيث تقـام فى دار نقيب الاشراف وحولها . فتوقد القناديل وتضاء الشموع ، ويحضرها أجلة العلماء والقراء والفقهاء ويهرع الناس اليها من أطراف البلد ، وتكون عندهم من الليـالى النادرة ، فيستمعون الى المدائح النبوية ، وتـوزع الصدقات والأطعمة الفاخرة احتسابا لله تعالى .

والى القرن الثانى عشر الهجرى كان يحتفل بهذا اليـــوم احتفـــالا عظيمـا بالزاويتين المشهورتين : القشاشية والبكرية ، بحيث تستمر زينتهما خمسة عشر يوما لا تخلو من المدائح والذكر وتلاوة القرآن .

فى تلمسان :

كان السلطان أبو حمو موسى صاحب تلمسان فى القرن الثامن الهجرى ـ الرابع عشر الميلادى يحتفل بليـــلة مولد الرسول صلى الله عليه وســـلم غاية الاحتفال ويوليها عنايته فوق ســـائر المواسم حيث كان يدعو الناس على مختلف طبقاتهم الى الاحتفال ، وقد أضيئت الشـــموع وجلس المدعوون على أرائك الحرير تطوف عليهم ولدان قد لبسوا ملابس الحرير الملونة ، وبأيديهم مباخر الند والعطور .

وفى ذلك الوقت يكون المنشد قائمـا يمدح سيد المرسلين ، وفى آخر الليل تمد الموائد فيختلف اليها جميع المدعوين حســب طبقاتهم ، ويظل السلطان موجودا حتى يصلى الصبح .

فى مراكش :

وفى دولة السلطان ابى العبـــاس أحمد المنصور أوليت حفلات المولد عناية كبيرة ، فكان اذا هل شهر ربيع الاول صدرت أوامره بدعوة مشاهير المنشدين من سائر حواضر المغرب ، وفى الوقت نفسه يعهد الى مهرة الشماعين فى عمل الشموع المختلفة فيضعونها على هيئة الزهور والاشجار وغيرها . فاذا كانت ليلة المولد عهد الى الحمالين المحترفين حمل خدور العرائس بحملها . ويجتمع الناس من أطراف المدينة لرؤيتها والاشتراك فى الاحتفــــال ، فاذا ما انتهت الظهيرة يخرجون بهـــا على رءوسهم كالعذارى ، وتتبعهـــا الموسيقات وأصحاب الملاهى حتى يصلوا الى القصر الملكى لتوضع على منصات أعدت لها ، وتحيى الليلة بتلاوة القرآن والاذكار .

فاذا طلع الفجر خرج المنصور فصلى بالناس ، ثم يجلس على أريكة وعليه حلة بيضاء هي شعار الدولة وأمامه الشموع المختلفة الاشكال والالوان مزينة بأشرطة ملونة ، والبخور يعبق ما حوله . ثم يؤذن للناس بالدخول أفواجا حسب طبقاتهم . فاذا استقر بهم الجلوس تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده وارضاعه ، ثم تتقدم الصوفية بأذكارها ، فاذا فرغوا تقدم الشعراء حسب طبقاتهم فينشد كل منهم قصيدة يستفتحها بالتغزل والنسيب ، فاذا تم يتخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده . فاذا انتهوا من انشادهم مدت الموائد لكبار المدعوين . ثم يؤذن للعامة بالدخول الى موائد حافلة بالاطعمة المختلفة يعبق حولها عبير العنبر والعود والزهور . وبعد فراغ المنشدين من انشادهم يختم المجلس بالدعاء للسلطان . فاذا انقضت أيام المولد الشريف وزعت هبات الشعراء على أقدارهم . وبعد الاحتفال بأسبوع تقام حفلة أبدع من الاولى

في حلب :

وفي حلب تعطل الحكومة يوم ١٢ ربيع ويحتفلون بتلاوة قصة المولد النبوى في الجامع الكبير . ويستمر الناس على تلاوة هذه القصة ليلا ونهارا الى آخر الشهر . ويولمون من أجلها الولائم العظيمة .

في مصر :

أما الحفاوة بالمولد النبوى بمصر فقد فاقت كل حفاوة وامتازت بأنها لها فضل السبق ، وأنها متصلة الحلقات حتى اليوم .

وأول من عنى بالمولد بمصر الخلفاء الفاطميون ، فكانوا اذا استهل شهر ربيع الاول صدرت الاوامر بتوزيع الصدقات ، والى دار الفطرة باعداد أربعين صينية من أنواع الحلوى ، وأن يصرف الى المشاهد المنسوبة الى أهل البيت بمصر والقرافة السكر واللوز والعسل والسيرج والخبز

فاذا كان الثاني عشر من شهر ربيع الاول صدرت الاوامر الى الدار المذكورة بعمل عشرين قنطارا من السكر حلوى يابسة بأشكال طريفة تعبأ في ٣٠٠٠ صينية ، كى تفرق على كبار الموظفين والفقراء والخطباء والمدرسين بالجوامع .

وبعد صلاة الظهر يركب القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الازهر ومعهم من عهد اليهم بتوزيع الصوانى ، فيجلسون مقدار قراءة القرآن الشريف ، ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه من كبار الموظفين فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر الصاغة عند مدخل بين القصرين فيتوضئون هناك ، ويكون الطريق التى يسلكها الموكب نظيفة ومرشوشة ومفروشة بالرمل الاصفر ، ويقوم بالاشراف على هذا الموكب والى القاهرة ، وحينما يقتربون من منظرة الخليفة يترجلون ويجتمعون تحتها الى أن يشرف عليهم أحد خواصه من نافذة بها ويحييهم نيابة عن الخليفة . ثم يستفتح القراء بالقراءة ، ثم يتقدم خطيب الجامع الحاكمى فيخطب خطبة الى أن يصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيمجده ويعظمه ويشيد بمولده الشريف ، ثم يختم خطبته بالدعاء للخليفة ، ويتبعه خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ، ثم يتبعه خطيب الجامع الاقمر .

فاذا انتهى الخطباء حياهم الخليفة ، وهو بمثابة اذن لهم بالانصراف وانتهاء الاحتفال .

وفي دولة المماليك كان يحتفى بالمولد النبوى في قلعة الجبل حيث كان يجتمع القراء والمدعوون فتقام الولائم والسرادقات ، وتضاء الانوار ، حتى أنه صرف على المولد عام ٧٩٢ هـ ١٣٨٣ م في دولة الظاهر برقوق عشرة آلاف مثقال من الذهب ، ما بين خلع ونفقات أكل وهبات وأجور منشدين وغيرهم .

وكان الاحتفال به في سنة ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م بالغا حد الروعة . فقد احتفل به السلطان الغورى وأمر باقامة الخيمة الكبيرة بالحوش السلطاني ، وكانت من روائع الصناعة ، حيث عملت على هيئة قاعة بها ثلاثة ايوانات، في وسطها قبة على أربعة أعمدة وهي من قماش ملون . وكذلك تملأ أحواض الجلد بالشربات وتزين الجدران بالاوانى الصيني والطاسات النحاسية . وتقام الزينات على المطابخ السلطانية .

فاذا نصبت الخيمة الكبيرة جلس فيها السلطان ، وبحضرته كبار الامراء والقضاة الاربعة والمباشرون الوعاظ ، وبعد قراءة القرآن وانشاد المنشدين وقراءة المولد النبوى ، يختلف المدعوون الى موائد فاخرة حوت الشهى من مختلف الأطعمة • كما تمد موائد أخرى لعامة الشعب • وكان سراة القاهرة وتجارها يحتفلون بهذا اليوم بقراءة القرآن واقامة الولائم وتلاوة المولد النبوى وتوزيع الصدقات واقامة معالم الزينة •

العصر العثمانى • والى ما بعد القرن التاسع عشر :

وفى العصر العثمانى كانت تقام حفلات المولد حول بركة الازبكية ، وفى الفضاء الممتد الى قصر النيل ، وكان محوره بيت الشيخ البكرى شيخ مشايخ الصوفية •

وفى هذا العصر أيضا لم يكن الاحتفال مقصورا على صفته الرسمية ، بل يشمل القطر بأجمعه • فتقام الحفلات وتولم الولائم ، ويتبارى لاعبو خيال الظل والبهلوانية والموسيقيون فى اقامة سرادقات لهم • وتقام الحفلات فى الدور وتوزع الصدقات ، ويعنى باعة الحلوى بعمل التماثيل والدمى من الحلوى ، وهى عادة لازمت مصر منذ العصر الفاطمى وما زالت موجودة • هذا عدا اضاءة الشوارع والدور فى تلك الليلة بشكل يدخل البهجة والسرور على سكان القطر •

وكانت العادة انه منذ العشر الاواخر من صفر تقام بمنزل السادة البكرية مآدب فاخرة يدعى اليها كافة مشايخ الطرق والاضرحة والتكايا والموظفين والاعيان •

وكان أصحاب الطرق يفدون الى دار البكرى بالبيارق والطبول رافعين أصواتهم بالذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يعلن الشيخ لكل طريقة الليلة التى تخصها من ليالى المولد الشريف لاحيائها ، وتفتتح ليالى الاحتفال بالمنزل المذكور بعدد من القراء يبلغون المائتين ، ويتلى أيضا المولد النبوى الشريف وحزب البكرى ، ولا تزال تحيى لياليه تلاوة وذكرا ودلائل ، بحيث تحضر اليه كل ليلة طريقة من الطرق ، والدار مضاءة بالشموع ومعهم المشاعل رافعين أصواتهم بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ، ويستقبل الشيخ البكرى شيخ كل طائفة فيستقبل بتلاوة الفاتحة ، وتخلع عليه فرجية من الصوف ، ثم يعين له الموقع الذى يضرب خيامه فيه ، وهكذا غيره بحيث تكون الخيام على شكل دائرة •

وابتداء من ليلة الرابع من شهر ربيع الاول يبدأ السيد البكرى استقباله لمن لم يحضر من الطوائف بساحة المولد ، فتمر كل ليلة أصحاب طريقة من الطرق التى لم تحضر بالمنزل من قبل حتى تنتهى الى سرادق السيد البكرى فيستقبلهم ويخلع على شيخهم فرجية من الصوف ما عدا شيخى الرفاعية والسعدية فان فرجتيهما من جوخ •

وفى ليلة ١٢ منه يقرأ المولد النبوى فى سرادق السيد البكرى بحضور كبار الموظفين والعلماء •

وبعد أن نظمت منطقة الازبكية ، وردمت بركة الازبكية ، فى القرن التاسع عشر واقيمت حولها الدور ودار الاوبرا ، انتقل الاحتفال بالمولد الى العباسية ، ومن وقتها الى الآن أخذ صفة رسمية حيث تعطل جميع وزارات الحكومة ومصالحها ومدارسها احتفاء بهذا اليوم وأخيرا نقل الاحتفال الى الدراسة • وتعنى جميع طوائف الصوفية باقامة سرادقات حول سرادق مشيختهم ، كما تقوم وزارات الحكومة باقامة سرادقات لها •

وقد استنت وزارة الثقافة والارشاد سنة حسنة باقامة سرادق تعرض فيه مطبوعاتها بأثمان مخفضة تابعها فيها أصحاب المكتبات فكونوا سوقا للعلم •

وكافحت وزارة الاوقاف ما يقام حول سرادقات المولد من مخالفات للدين باذاعة الوعظ والارشاد • ، وتحيى الليلة الكبيرة بتلاوة القرآن وقصة المولد وتوزع الصدقات بحضور نائب السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة فيستمع الى قصة المولد النبوى ، ثم يستعرض طوائف الصوفية مهللين مكبرين داعين للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بدوام التوفيق •

« حسن عبد الوهاب »

أمام قبر الرسول بيثرب

للشاعر الباكستاني نظامات جونج

ترجمة : عبد الواحد الاسبابي

أيتها الروح العظيمة الصافية الصادقة
يا من قدر لك ان تحمل امانته
التي ابتليت باقسى المحن فازدادت
ايمانا وازدادت حقا .

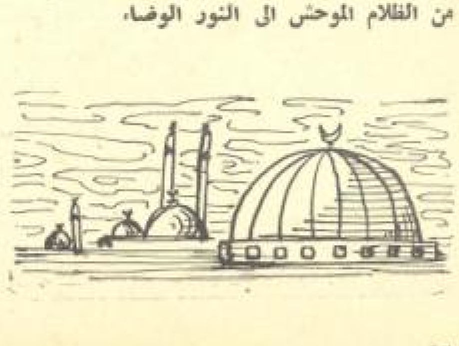
حين أنحني هنا في صلاة صامته
أشعر بك تحومين بالقرب من هنا
« لا تدعي قلب المخطيء المذنب يقنط »
فالملائكة تسبح الآن في علاها

* * *

بالفضل وحده من عنده تعالى
ستفرج السماء
الهموم عن قلب الآثم
اوه ! ولكن ...
لا تدعي هذا يخدع قلبي
فطالما ناديتنا ان نعرف
كم هو عبث أن يبقي المنافق على نفاقه
حين يحركه بعض الخوف
وكم هي هباء كل كلمات الندم
يقولها تائب مراء

* * *

الدعاء الذي يتصاعد من أعماقك
على أجنحة الشوق الروحي
استطاع أن يخترق مسام الأرض ومسام السماء
ليجعل الله الى جوارك
وخلال صلوات الليل الصامتة
كان صوته في اذنيك .
أنت التي تقودين البشرية في حكمة وصواب
من الظلام الموحش الى النور الوضاء



نبي الله :
قدماك على الأرض وراسك في السماء
ومن اجلك
تركت الموطن والدار
والمال والولد
وجئت متجردا
أسعى الى المأوى الأفضل
حيث حكم الاسلام
من سهول يثرب العظيمة
امبراطورية شامخة تظللها
كلمة التوحيد
وراية العدل والسلام ...

* * *

نعم .. ووسط متاعب الحياة
وأهوالها وهمومها
ومن خلال الكفاح الصابر
امتلأت نفسك
بالمحبة والسلام .
وفي سكينة وخشوع
وقفت آمنة حيث كان وهج
النور اللامنظور يلف العرش
تراه ولا أحد غيرك يراه .
لست سوى انسان
ولكن لك وحدك
كان هذا المجد .

مخلوق أنت ! ولكنك ولدت لتحمل
ثقل الأرضين والسماوات .
نبى أنت ! ولكنك أعطيت قوة السلطان
نبى وصاحب دولة
دعوتها لا تعرف الحدود
وهى فوق الجنس والجاه
نور يشرق من السماء
ليضيء مسالك الحياة ودروبها
امام السائرين والعابرين
دعوة هى الهدى وهى اليقين

***

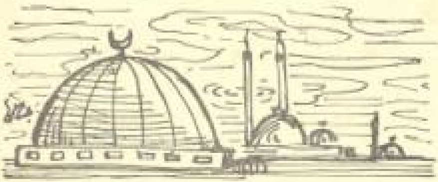
وفى خضوع صادق عند قدميك
حين ركعت كل الجزيرة العربية
وحين جاء الزعماء والمبعوثون يحيون
يوم الاشراق الجديد للاسلام
راوا مجدك وعظمتك
ليس فيهما أبهة الملوك وخيلاؤهم
فكان العجب ! وكانت نظرات الدهشة
وكان الايمان من الصادقين
مع أنفسهم .
والحقد من التعساء
المغرورين الضائعين
فى متاهات الزيف والضلال .

* * *

رأوك فى ثوب بسيط قديم
رجلا متسربلا بعظمة الله
تجلس فى تواضع غير مصطنع
تدحر كل جحافل الظلام
من دانى الأرض وقاصيها .
وبالنور الذى أفاضه الله عليك
تبدو فى تألقك وسط ليل الضلالة
وكأنك النجمة الوحيدة المتمعة .

* * *

أحس وجود الله فى هذا القبر
أحس جلاله يتراءى لروحى
فى كل هذه الشعاعات المتلألئة
الشعاعات التى تتفجر من السماء .
وهذه الأقواس ذات الأبهة المزخرفة

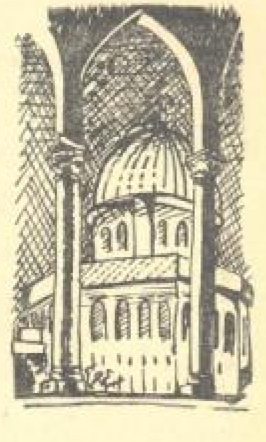


لا تستطيع قط أن تحجب عنى
جلال الايمان البسيط
فبساطته هى سر عظمته

* * *

رسول الله ! فى خشية المؤمن المتجرد
اقف بجسدى المسكين
ذاهلا مستغرقا
استمد منك الطاقة
التى تبعث فى أعماقى على الدوام
قوة الحركة الخيرة .
اجعلنى قادرا
أنا المولود الجديد
على أن القى عن كاهلى
كل رواسب الذنوب
اجعل مستقبلى أكثر اشراقا من ماضى
املأ نفسى بالايمان الصادق
لأرى الله بعينى روحى
فى الأرض وفى السماء
وفى كل مكان انطلع اليه
دع هذه الرؤى تتحول
فى اعماقى الى نور .
دع بهجة الايمان
تهز أوتار الفرحة فى كل كيانى
لأسمع تراتيل النصر
بعد معركة الصراع الأبدى
بين الخير والشر

« عبد الواحد الامبابى »



المولد النبوى

فى شعر المهجر

بقلم : على الجمبلاطى

انه لمن طوالع اليمن وبشائر الخير أن يقترن عيد ثورتنا العربية المجيد بأجل ذكرى وأكرم عيد هى ذكرى عيد المولد النبوى الكريم ميلاد نبينا عليه السلام الذى أنقذ بثورته التحريرية الكبرى البشرية من ضلالاتها وهداها الى مراشدها فصنع تاريخا مضيئا بأسمى المثل وأعظم التعاليم وسجل للانسانية حضارة هى أخلد الحضارات .

واذا كان لنا أن نستبشر بهذه اللقيا السعيدة بين العيدين فلأننا نؤمن بأن الثورة المحمدية الخالدة كانت المشعل الهادى للثورة الناصرية المفداة من تعاليمها المثل اتخذت ثورتنا مبادئها وقيمها العالية فكتب الله لها النصر وأيدها بروح منه .

ومنذ أربع سنوات كوامل وفد الى الجمهورية العربية المتحدة اخوان لنا ليحتفوا بعيد الثورة التاسع معنا ، هؤلاء الاخوة الأعزة يعيشون فيما وراء البحار تقتسم واياهم تراثا واحدا وننتمى الى ماض واحد وتجمعنا مقومات الحاضر المشترك . هم وفود المهجريين من أعضاء الجالية الاسلامية واتحاد الأندية السورية اللبنانية فى الولايات المتحدة وكندا وكان اللقاء بيننا لحظة مقدسة من لحظات التاريخ فتحت فيها القاهرة ذراعيها لهم واحتضنتهم فى حنان لافرق بين مسلم ومسيحى فاننا جميعا نملك عروبتنا التى تهزم الاعداء وتحقق الآمال .

ولقد رأى هؤلاء الاخوة الأحباء فى جمهوريتنا الفتية ما يملأ نفوسهم عزة وفخارا ، رأوا مجتمعا جديدا يستكمل ملامحه الاساسية ليكون مبعث العزة والكرامة لكل فرد فيه ، ورأوا أمة جديدة تتحرك لتعيد كتابة التاريخ ، ولتكون قوتها دعامة للعرب جميعا وللأحرار فى كل مكان ، لتكون لنضالهم قاعدة ولتكون لسلامتهم حصنا ، ولتكون قوتها قلعة تحمى السلام العالمى .

ولم يكن هذا اللقاء الوثيق العرى فى ميدان العروبة بين المغتربين المسلمين والمسيحيين جديدا عليهم فقد أدت الجمعيات والأندية فى المهاجر مهمتها الاصلاحية بجمع شتات المغتربين على اختلاف عقائدهم وحماية مصالحهم وتوخت بذلك أن تحول بينهم وبين ذوبانهم فى البيئة الغربية فراحت تقيم الحفلات الشعبية فى مناسبة كل حادث سياسى يقع فى الوطن الأم أو مناسبة كل حادث اجتماعى يقع فى الجالية . ومن هذه الحفلات انطلقت الصرخات المدوية باستنكار الحكم العثمانى ومهدت للثورة على المستعمرين ، ومنها نشأ الوعى بمدى النكبة فى فلسطين والاهتمام بالوحدة العربية والتنادى للاسهام فى معركة الثأر ومعركة الدفاع عن الاستقلال وفيها بددت الفكرة القومية رواسب التعصب الذميم وساد شعار (الدين لله والوطن للجميع) وودعوا فيما ودعوه فى أوطانهم ذلك التعصب الدينى الذى كان يبدو عنيفا فى مواطنهم الاولى لانهم آمنوا بأن بلادهم لم يصبها الضعف والتخاذل وانحلال القوى وتفرق الكلمة الا بذلك التعصب الطائفى فهم يؤمنون بالله ويدعون الى الايمان به ولكنهم لا يرونه بعيون المعتقدات المذهبية

التي نشأوا عليها في طفولتهم والتي كانت تحذر الكاثوليكي من أن يشتري زيتا من أخيه الارثوذكسي كما يقول (ميخائيل نعيمه)

وقد اتخذوا من الحرية الدينية وسيلة لتوحيد قلوب الامة وعدم استخدام الدين في التفريق بين أبناء الوطن الواحد والامة الواحدة وهذا هو (أمين الريحاني) يخطب في احدى الحفلات المدرسية فيقول للطلاب (كلنا ندين بدين التوحيد كلنا نوحد الله ولا نرجع في النهاية الى سواه نحن أبناء الاديان التوحيدية وما موسى وعيسى ومحمد غير رسل الله الاله الواحد رسل التوحيد فاذا كان الهنا واحدا ولساننا واحدا وبلادنا في سهولها وجبالها وصحاريها واحدة ومصائبنا السياسية كلها واحدة أفلا ينبغي أن يكون الوطن كذلك واحدا فردا لاتقسيم فيه ولا تجزئة ؟)

وهذه النظرة السمحة الواسعة الى الدين مع كراهية التعصب والتنفير منه قد لفت شعراء المهجر في أرحب أثوابها فسمعنا (محبوب الشرتوني) يقول :

كل شعب فشا التعصب فيه
هان والموت من وراء هوانه

ثم نراه يمجد نبينا عليه صلوات الله فيقول :

ومحمد بطل البرية كلها
هو للأعارب أجمعين امام

اما الشاعر **(رشيد أيوب)** فقد خلص من التعصب واتسعت نظرته الدينية فقال :

أصلي لموسى وأعبد عيسى
وأتلو السلام على أحمد

ويقول في التمدح بالنبي عليه السلام :

فمن يااترى أعلى الورى (كمحمد)
وأرفعهم مجدا وأسمى مناقبا

وهذا هو الشاعر سليم بشير الخوري (الشاعر القروي) وهو لا يدين الا بالعروبة . وكل ما يبعث على رفعتها ووحدتها ومجدها فهو عيده . والرسول عليه الصلاة والسلام هو باعث هذه الامة الاول وموحدها بدينه ودعوته ولذا يقول في (عيد الفطر) :

أكرم هذا العيد تكريم شاعر
يتيه بآيات النبي المعظم

هبوني عيدا يجعل العرب أمة
وسيروا بجثماني على دين برهم

أما الشاعر **(الياس فرحات)** فهو يمجد دين الاسلام ويكن له كل محبة واحترام بقدر ما يكره التعصب المذهبي فيقول في مستهل قصيدة طويلة :

سلام على الاسلام أيام مجده
طويل عريض يغمر الارض والسما
نما فنمت في ظله خير أمة
أعدت لنصر الحق سيفا ومرقما

وأخيرا نرى المسيحي والمسلم من شعراء المهاجر يشتركان معا في تكريم (ذكرى مولد الرسول عليه السلام) كلهم يمجدونه في شعرهم ونثرهم ونراهم جميعا يؤمنون بأن الدين لا يفرق بينهم ما داموا اخوانا في العروبة وبأن الرسول مفخرة الامة العربية التي نشأوا فيها والتي يجمعهم لواؤها تحت ظلاله فهذا هو الشاعر (نصر سمعان) يشترك في حفل اقيم بمناسبة عيد المولد النبوى في البرازيل فيستهل تحيته لهذه الذكرى المجيدة بقوله في خطبة تخللتها مقاطع من الشعر :

كوكب رحب الوجود به يوم
تجلى على الوجود شعاعه
كلما مرت العصور وغارت
في مهاوي الزمان زاد ارتفاعه
شهد الله أننا في سبيل الحـ
ـق والمجد كلنا أتباعه

كما أوحت اليه تلك الذكرى الخالدة هذه الابيات التي يشكو فيها الى الرسول الكريم تقاعس أمته في حاضرها فيقول :

بزغت فحيت الجوزاء مهدك
وأعلت فوق مجد الشمس مجدك
وكل فم له الفصحى لسان
يردد بعد حمد الله حمدك
وكم خلت الممالك من ذويها
وأنت ملأت قلب الدهر وحدك
نبي قريش ان قريش ولت
وولت أشرف النزعات بعدك
فلا عمر تراه ولا علي
يقود الى مراقي العز جندك

وغاية ما ترى أشتات شعب
تردى فـوق برد الحيف بردك
أعيذك أن تكون رسـول قوم
أضاعوا ما وقفت عليه جهدك

والقى (الشاعر القروى) خطابا نفيسا فى ذكرى المولد النبوى بالبرازيل استهله بهذه الابيات :

صـلى الاله على النبى
ويوم مولده الكريم
يوم تراجع فيه سيرة
البطـل العـظيم
يوم تقابل فيه ماضينا
بحـاضرنا الأليم
فنهب من حجـر القبـور
الى مقاصير النـجوم
ولعيد فى العهد الجـديد
جلائل العهد القـديم

ثم يختتم خطابه هذا بالأبيات التالية :

عيد البرية عيد المولد النبـوى
فى المشرقين له والمغـربين دوى
عيد النبى ابن عبد الله من طلعت
شمس الهـداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نـورا للورى وهدى
باللتمدن عـم الـكون من بدوى
يا قـوم هذا مـسيحى يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوى
فـان ذكرتم رسـول الله تكرمة
فبلغوه سلام (الشاعر القروى)

وهنا نستمع من الشاعر **(رياض المعلوف)** وهو يشارك اخوانه المسلمين فى الاحتفـال بعيد المولد النبوى هذه الابيـات من قصيدة رائعـة عنوانها (وحد الله) :

وحد الله فالمؤذن وحد
وبذكر النبى فى العيـد أنشد
يا رسـول الأنام أنت وعيسى
خير من يصطفى ويرجى ويقصد
وكفى العرب فخرهم بانتساب
لنبى هو النبى (محمد)

اما الشاعر **(الياس فرحات)** الذى قدمنا له ماقاله فى تمجيد الاسلام وما يكنه له من اجلال فقد قال فى ذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام :

غمر الارض بأنوار النبوة
كوكب لم تدرك الشمس علوه
لم يكد يلمع حتى أصـبحت
ترقب الدنيا ومن فيهـا دنوه
بينما الكون ظـلام دامس
فتحت فى مكة للنـور كوه
وطمى الاسـلام بـحرا زاخرا
باوازى المعـالى والفتوه
من رأى الأعراب فى وثبتهم
عرف البـحر ولم يجهل طموه

وهذا هو الشاعر (حسنى غراب) يقول فى مطلع قصيدة فذة القاها فى ذكرى المولد الشريف بالنادى الحمص فى « سان باولو » :

شعلة الحق لم تزل (يا محمد)
منذ أضرمت نارها تتوقد
غمر الارض نورهـا فاذا رمـ
ـت دليلا فعد الى الارض واشهد
جئت والنـاس فى ضـلال وغى
ومن الهـدى فى يديـك مهند
ودوت ضـجة فسل فخروا
خشية الحـق راكعين وسجد
فاذا الارض غـير ما كنت تلقى
واذا النـاس غير ما كنت تعهد

وبعد فهذا بعض ما اتسع له المجـال من شعر اخواننا المغتربين المسيحيين الذين شاركوا به اخوانهم المسلمين فى تكريم نبينـا عليه الصلاة والسلام فى ذكرى (مولده الشريف) وكم من حفلة دينية اسلامية فى المهـاجر كان خطباؤها وشعراؤها من المسيحيين كالقروى وفرحات ورياض المعلوف وشكر الله الجر وجورج صيدح والشرتونى وغـيرهم ممن نشروا فى مهاجرهم معـانى التسامح والتسامى بالدين وكان ايمانهم عميقا قبـل كل شىء بالوحدة العربية لانهم يوقنون انها بالنسبة لنا جميعا هى النتيجة الطبيعية لكياننا التاريخى القومى .

« **على الجمبلاطى** »

حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوي

رسالة صغيرة

سيدى يا رسول الله

من الحقائق المقررة أنك غيرت مجرى التاريخ فى العالم ، وانه فى كل مكان قريب أو ناء يوجد من يتكلم باسمك فى أخفى دقائق الحياة المعاصرة ، ومن يسمعك بعيدا من مئذنة أو قريبا من قلب .. وأنك نفضت الرمال نفضة كبيرة عن الصحراء ، وعن الانسان الذى كان يعيش فى الصحراء ، وأن العالم القديم الممثل فى كتلتى الشرق والغرب فى هذه الفترة (الفرس والروم) قد أنصت اليك فأحسن الاصغاء ، وأنك قد استوعبت هذا العالم لا استيعاب الفاتحين الفوضويين ، ولا الثائرين الدمويين ، ولكن استيعاب الانسان الذى يفتح عينيه لكل خيوط النور التى تسجت من قبل ، واستيعاب النبى الذى يبارك الحياة ويقدسها ويحترمها ويجعلها أكبر من أن تكون شهوة بطن ، أو رغبة سيف !

ولا يشك انسان منصف ــ حتى الأعداء ــ أنك كنت وراء النهضة الاوربية فى مجالات المعرفة والسلوك حتى فى الوقت الذى كانوا يلهبون فيه ظهور مدنك ووجه قراك بالسياط والنظرات المجنونة وأنك ضممت الكثير من آسيا وافريقية الى صدرك ثم ربت عليهما بالحنان ، والحب ورسالة السماء ، وأنك بلا أسلحة ولا مبشرين ولا غزو ما زلت ــ الى الآن ــ تدخل على الانسان فى الغابة والسهل والجبل ، ثم تخرج بهم جميعا الى سلوك جديد وايمان خصب

بالحياة ·· بل انك لا تسقط حاجزا بين الانسان وجدار عمره الذى لا يتعدى فى المتوسط ثلاثين أو أربعين عاما ، وانما تفتح له من وراء ذلك عالما روحيا رحبا يكاد يحسه المسلم باصبعه ، بل لقد عبروا عن هذا فى الماضى ـ وهم يسعون اليه ـ بأنهم يشمون ريح الجنة ·· والا فما أهون تلك الحياة القصيرة المتصارعة اللزجة سواء أقامت على طبقة تصرع طبقة ، أو افراد يصرعون الجميع ، أو حتى قامت على التصالح الانسانى المثمر كما قررت أنت فى دينك ·· ولكنك ممن يؤكدون بوجود جنتين احداهما فى الدنيا وثانيتهما فى الآخرة !

ومن المؤكد ·· انك ارتفعت بمستوى الانسان الى الحد الذى جعلته ينعم بالحرية ، أو يسير فى الطريق اليها بحيث تنعدم تماما العبودية ويصبح الناس ـ بتعبير عصرى جدا ـ كأسنان المشط ، ثم انك لا ترد الاشياء الى العبث أو تجعل غايتها العبث ، فانك تحرص على المسئولية ، وعلى أن يجعل كل انسان لوجوده معنى حقيقيا ، لامعنى زائفا ذلك لأن عليه ان يضىء ـ حتى الاحتراق ـ ليرى الأشياء فى ضوء توهجه الذاتى ، ومعنى هذا أن يرفض العادات اليابسة والذكريات الشاحبة ،والخوف من استعمال الحرية ، فهو مطالب دائما بان يتحرك من خلالك ويجاوز وضعه ، فالانسان المسلم فى «جهاد» دائم مع نفسه ومع الحياة ، ثم ان هذه الحرية تبلغ مداها حين تقرر من أول الأمر رفع وصاية الانسان على الانسان من أجل اللون أو الجنس أو الغنى أو الانتماء الى الطبقة ، وبالاضافة الى هذا فان نظرية الحكم تعتمد على الشورى وتقوم على صحة الاختيار وتتغير بتغير مصالح الناس ، ومن يخطىء يقوم على الفور ، بل ان بعض الخلفاء يرى أن الواجب فى هذه الحال هو القتل للاحساس بأن الخيانة هنا خيانة للدولة على كافة المستويات ·

***

ثم انك ـ **يا رسول الله** ـ لم تأت بما يخالف الفطرة فى الانسان ، فلا رهبانية ، ولا تزمت ، ولا عنصرية ، ولا الدفع الى عمل يقهر الانسان الى الحد الذى يتحول به الى آلة ، أو التحول الى فراغ يزيد فى ترهل الانسان ويحوله الى كيس من البلاهة ، فهناك الأمر باخذ الزينة ، وهناك الترويح عن النفس ساعة فساعة ، وهناك جعل كل ما هو طيب حلالا ·· وهناك العمل الواعى الذكى لا الى آخر قطرة من عمر الانسان ، ولكن حتى بعد أن ينتهى الأمل فى جنى الثمار ، فقد طلبت من الانسان الذى قامت عليه القيامة بالفعل، وفى يده أحد الغراس أن يسارع الى أخصاب الأرض بها ، ولقد كرمت الانسان فوسعت دائرة حركته ،ولم تأخذ عليه كافة اتجاهاته، أو تسقط حوله اسلاكا شائكة ـ الا فى المناطق الحرام ـ حين قلت « أنتم اعرف بأمور دنياكم » وليس لهذا من معنى الا أن عندك القدرة على التجول فى روح كل عصر ، وأنك دائما مع الانسان فى حركته النشطة على هذه الارض ، وانك كنت دائما تواجه الحياة ولا تهرب منها ·

لقد نجحت ـ يا صديق البشرية ـ فى تشكيل الانسان الذى يستطيع أن يتفوق على نفسه ، فيعرف انه ميت لا محالة ومع هذا يهديك دمه من على طرف سيف أو بندقية أو قذيفة ، بل يستطيع أن يسقط السيف أو الأمر بين الانسان ومصدره والانسان ونفسه ، فمن عديد من الصور تجد صورة الانسان الذى ليس عنده أحب اليه من أبيه ، ومع هذا يعرض عليك قتله فتأبى عليه ذلك وأنت تعلم خطره على دعوتك ، ومن عديد من الصور نقرأ عن هؤلاء الذين كانوا يسمعون بتحريم الشىء فينتزعونه انتزاعا بوعى ـ مع أنه الخمر ـ من افواههم ، بل ان هناك من يعمل على أن يقىء ما أكل من حرام ، حتى ولو ذهب هذا القىء بنفسه ·

***

وعلى كل فهذه الصحة فى الافراد تقابلها صحة فى المجتمع ، فالمجتمع كله يتحرك من أجل اقامة « الفردوس الحقيقى » على الأرض بالحب لا بالدم ، وبالحق لا بالباطل ، ثم ان هذا الفردوس لا يقتصر على المسلم فقط ، ولكن يتعداه الى كل من يعيش فى الأمة الاسلامية ، فالعاجز والمريض والطفل والشيخ من الأديان الأخرى لهم كفالة اجتماعية على الانسان المسلم ، **وفى هذا المجتمع** ـ اذا استثنينا أحيانا المجتمع المدنى ـ عاش الناس بالسلام وبالحب وبالتكافل ، وفى هذا المجتمع كبر الناس عن كل شىء صغير ، حتى عن الصدقة ـ وكما يقول يحيى ابن سعيد ـ بعثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات

افريقية ، فاقتضيتها ، فطلبت فقراء تعطيها لهم فلم تجد فقيرا ، ولم نجد من يأخذ منا ، فقد أغنى عمر ابن عبد العزيز الناس ، بل ان بعض المناطق التى قسمت الآن الى دول كان يعبر عنها بتعبير جميل هو أنها تستظل بظل واحد من الشجر ، ومعنى هذا انه لم تكن هناك فجوة غير مغروسة بالشجر .

وفى هذا المجتمع يغدو الانسان قريبا من المواطن العالمى ، فلم يكن له وطن صغير وراية ملونة، وحدود محروسة بفوهات المدافع ، وجوازات السفر ، والرقابة المحكمة ، وانما كان هناك هذا المفهوم الجديد الذى يقول ان الاسلام هو الوطن والذى يمكن لكل انسان أن يتحرك فيه بالاقتصاد والعلم ، ولقد كان هذا العالم كبيرا اذا قيس بالعالم الحديث اليوم الذى وان قيل « انه قريتنا » الا أنه — حتى بين الكتلة السياسية الواحدة — بالشك ، والخوف ، والعملة ، واحكام الرقابة قد أصبح عالما حديدى الوجه ، صفيق الروح ، لزج المعاملة .

***

ثم حدث أن طوردت كافى ما تكون المطاردة ، ولقد استعملت فى هذه المطاردة كافة الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ، فقد فرغت منك أسبانيا بطريقة لا مثيل لها فى التاريخ ، ثم كان أن حوصر عالمك بالأساطيل والغدر ، ثم امتد الحصار الى الحد الذى حولت بعض مساجدك الى كنائس ، والى الحد الذى ربطت فيه الخيول بالأزهر ، والى الحد الذى اسكتت فيه بالقهر كل مقاومة ، ولعل المفارقة هنا ان الهندوكية فى الهند ، والبوذية فى الصين ، والوثنية فى افريقية لم تقابل بمثل هذه الضراوة ، بل لقد قامت الدعوة الى المحافظة عليها وعدم التعرض لها .

***

ثم بعد أن سقطت كافة الاوراق الخضراء من على شجرتك حدثتهم نفسهم — وعلى حد تعبير بعضهم — بأن يقوم بعملية قطع الشجرة أصحاب الشجرة نفسها ، وبذلت الابتسامات والوعود ، فاذا مئات من الفئوس تنهال على جذع الشجرة باسم الاقتصاد والجنس وحرية البحث ، وترديد ما قيل فى الكراهية، واهدار كل ماله جذور قديمة .. وتوهم المتطوعون من أصحاب الشجرة — ولم يكونوا ينظرون فى حماسهم — أن الشجرة تتداعى ، وتتصدع ، وتميل، وغلبتهم أعينهم فنظروا اليها نظرة أخيرة بدافع الحنان قبل أن يتكاتفوا على الضربة الأخيرة والحاسمة، ولكنهم فوجئوا بأنها قائمة وصلبة وتهش فى وجوههم بل فوجئوا كذلك بأنها قد كسيت بالأوراق الخضراء !

ووضع البعض الفاس خجلا ، واكل الحقد قلب البعض — ممن لا يمتون اليها بنسب كبير — فظل يضرب وما زال يضرب ، ولكن الشجرة تخضر وتثمر وتغطى باصوات طيورها على أصوات الذين لا يزالون يواصلون الضرب بالفاس وبالحقد !

ومعنى هذا أن ما جئت به — **يا حبيب الانسان** — لم يكن تراثا ، او وعيا مرحليا ، أو فلسفة ، أو ايديولوجية ، او وجهة نظر ينسخ الجديد فيها القديم ، ولكنه كان وما يزال « عقيدة » تزهر النفس وتخصب الحياة ، وانه لا بد لها ان تبلغ مداها الذى رسم لها !

وقد يأتى هنا سؤال يقول اذا كانت — **رسالتك** — عرفت كيف تتحرك والسيف يغوص فى القلب ، والبندقية تتوغل فى الدار ، والمدفع يهز المدينة ، والطائرة والأسطول يحيلان الحياة جحيما أفليس من الطبيعى ان تتحرك الآن ولم يبق شئ من هذا ؟ صحيح أن هذا العصر هو عصر الايديولوجيات التى تتصارع ، ولكن الذى لا شك فيه أن رجالك — **او رجال يوم الجمعة كما سموا** — قد فرغوا من كثير من المحتويات الاسلامية ، وأنهم يحاولون أن يلقوا عبء هذا النوع من الحرب الفكرية على رجال الدين — وليس فى الاسلام نظام رجال الدين — بعد أن فتتوا من الداخل ومن الخارج ببطء ، واصبحوا لا يملكون الآن الكثير من هذه الأسلحة فى هذه العزلة التى يعيشون فيها الآن .

***

وقد يقال ان الدين عزل عن المجتمع فى معسكر الغرب ، وانتهى دوره فى معسكر الشرق ، والجواب أن ما جئت به يختلف تماما عن كل ما جاء قبلك — ولن يجئ بعدك — فما جئت به هو حركة تنظيمية

نشطة للحياة ، لا تقف الا فى حدود ضيقة عن حد الأخرة ، فهى تنتظم الوجود البشرى ، وتدخل فى نسيجه خيطا خيطا فى أبسط الأمور وأكبرها ، دون أن تضطر الى تقصير قامة الانسان والحد من قدراته الخيرة ، ودون أن تشده عن المرح والحب والاستمتاع الذكى بالحياة .

❊ ❊ ❊

صحيح أن كل ما جئت به ـ يا حبيب الله الى عباده ـ أصبح من الاهمال والتزهيد فيه شبه غريب على الناس ، فكل شيء وقعت عليه نقطة شك وحقد نما ، مما جعل كثيرا من الناس ينصرفون بجزء كبير من أنفسهم ـ وبخاصة فى المدينة ـ عن النبع ، ويفضلون أن يصبحوا عورا عن أن يعطوا عينهم الثانية لك .. ولكن هناك أمل واحد فى العودة المترية اليك وهو رغبة الانسان العربى فى أن يعيش ظروفه وحياته وتاريخه ، وهو حين يحن الى هذا لن يجد ما يريد الا بين عينيك ، ومن هنا يأخذه الحماس والصبوة الى أن يفتح عينيه على ما فى داخله (فأنت فى داخله) وعلى ما حوله (فأنت فيما حوله) فاذا تحقق له هذا وتمكن من التجول فى بساتينك ، وعرف أنها لا تخص رجال الدين وانما تخصه هو بنفس الدرجة .. استطاع أن يقول كلمة جديدة للحياة ، واستطاع الا يكون لبلابا على شجرتى الشرق والغرب ، وانما شجرة فكر يمكن أن تمسح بانسانيتها وقيمها ووعيها لا راسه فقط ولكن راس كل انسان فى العالم !

❊ ❊ ❊

ان أحدا لا يشك فى أن الاستعمار الغربى قد فرغ المنطقة العربية الاسلامية من محتواها الفكرى بصورة لم تتكرر فى المناطق الاخرى التى لا تدين بالاسلام ، وأنه كان وراء الماركسية فى بعض الأحيان حتى لايوجد ثقب يمكن أن يتسرب منه وعى أسلافى عربى فى المنطقة ، ثم ان من السهل جدا أن نجثو على اقدامنا ثم نطالب بأن نكسو احاسيسنا بما عند الشرق أو الغرب ، ولكنك بذرت فينا من قديم عنصر المقاومة ، وعلمتنا أن اليد العليا خير من اليد السفلى ، ثم نحن نحس أننا كالمنجم ، وأن الماس الذى فى داخله من وميض نورك ، ولكننا نحس بالكسل ونرضى بخفق الجواهر الزائفة ، ونقول لقد وضعنا الشارات على صدورنا ، ولسنا فى حاجة الى شارات جديدة ما دمنا قد تصدرنا الفكر بهذه الشارات ، ثم ان المنقبين المعممين عليهم اولا أن يرفعوا تراب الاهمال عن قلب المنجم ثم علينا بعد ذلك أن ندخله وراءهم اذا لمع فى أيديهم شيء .

ولكن ما نريد أن نقوله ان شيئا من الصحو للمنطقة وللعالم لن يتم الا اذا أحس الجميع ـ حتى الذين تحدد الآن فكرهم ـ أنهم لا بد أن يكونوا أنفسهم ، ولا بد أن يبعدوا أيديهم عن كتفى الشرق والغرب ، ولا بد أن يقولوا كلمة جديدة فى الحياة من خلال الماس المطمور فى المنجم ، ولا بد أن يواجهوا بك كافة تحديات القرن العشرين لأنه لا مناص من هذه المواجهة ، وأخيرا فلا بد أن تكون الواجهة الحديثة لحركة الحياة بما تملك من الحركة، والمرونة ، والايمان المطلق بالانسان ومع أنى أعرف الكثيرين ممن يشككون فيما انتهيت اليه ، ولكنى لم اقل ما اقول الا لأنى أحس أنك ـ يا رسول الله ـ تحرضنى على ما اقول ، وانى احس باننا قد أصبحنا عالة على العالم ، وأن شيئا مما نريده لن يتم الا بالمطالبة بعودتك الى كل قرية ومدينة بل بعودتك الى العالم .. فحاجة العالم الآن اليك ـ فى ظل هذا الصراع والتوتر ـ لن تقل عن حاجتنا الى نور وجهك، وصدق رسالتك ، وعمق انسانيتك !

... وتقبل منى خفق قلبى ونور عينى .

« عبده بدوى »

من إخوان الصفا ...
.. إلى أينشتين



الدكتور عبد الحليم منتصر

— ٤ —

نشأت جماعة اخوان الصفاء ، فى القرن الرابع الهجرى بالبصرة ، وكان لهـا فرع فى بغداد ، وقد اشتهر أمر هذه الجماعة ، وذاع أمرها ، حتى يمكن اعتبارها ، أقدم جمعية علمية عربية بالمعنى المعروف، وقد تبادل أعضاء هذه الجماعة الرسائل، التى عرفت باسم رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، واشتهروا بالآراء العلمية الحرة ، واتخذوا لانفسهم مذهبا ، زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضـوان الله ، وقالوا انه متى انتظمت الفلسفة الاجتماعية اليونانية ، والشريعة العربية الاسلامية ، فقد حصل الكمال ، ومن رأى المستشرق « دى بور » ان الحكمة اليونانية ، قد استوطنت الشرق ، عن طريق اخوان الصفاء

وقد قسم جماعة اخوان الصفاء انفسهم الى أربع مراتب وهى :

الاولى : من الشبان حتى الخامسة عشرة ، وهى مرتبة ذوى الصنائع

الثانية : ممن اتموا الثلاثين ، وتسمى مرتبة الرؤساء

الثالثة : ممن أتموا الاربعين ، وتسمى مرتبة الملوك

الرابعة : ممن أتموا الخمسين ، وهى المرتبة العليا

ولم يحل اضطراب الأمور السياسية فى عهدهم دون تقدم الفكر العلمى الاسلامى ، فمن حسن حظهم أن الأمـراء كانوا يتنافسـون فى تقريب العـلماء والاغداق عليهم ، وكان قد تم نقل العلوم الاغريقية ، وشرع المفكرون فى التصنيف بدلا من النقل ، وكان من مبادىء أعضاء هـذه الجماعة الا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتابا من الكتب ، والا يتعصبوا لمذهب من المذاهب وأن يجمعوا العـلوم جميعهـا ، وينظروا فى الموجودات بأسرها ، وكانت اجتماعاتهم خاصة ، لا يحضرها سوى الأعضاء ، الا أنهم أذاعوا رسائلهم ونشروها بين الناس .

وتبلغ رسائل اخوان الصفاء ، اثنتين وخمسين رسالة ورسالة — على حد تعبيرهم — مقسومة على أربعة أقسام :

الأول : رياضة تعليمية .

الثانى : جسمانية طبيعية .

الثالث : نفسية عقلية .

الرابع : ناموسية الهية .

وتليها الرسالة الجامعة لما فى هذه الرسائل كلها المشتملة على حقائقها .

وذكروا أن مصادر علومهم كتب مختلفة ، تنتظم فى أربع مجموعات :

الأولى : كتب الحكماء من الرياضيات والطبيعيات .

الثانية : الكتب المنزلة من توراة وانجيل وقرآن .

الثالثة : الكتب الطبيعية التى تحوى صور الموجودات من أفلاك وبروج وكواكب .

الرابعة : كتب الكائنات من نبات وحيوان ومعادن .

ويتضمن القسم الاول من رسائلهم الرياضيات ، لما للعدد من مقام فى فلسفتهم ، ولعلهم تاثروا فى ذلك بالفيثاغوريين .

وللعدد أربعة — شرف الصدارة عندهم وذلك :

لأن الطبائع أربع ، وهي الحرارة والجفاف والبرودة والرطوبة ٠

والعناصر أربعة :وهي الماء والهواء والتراب والنار ٠

والأمزجة أربعة : وهي الصفراوى والسوداوى والدموى والبلغمى ٠

والفصول أربعة : وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء ٠

والجهات أربع : وهي الشمال والجنوب والشرق والغرب ٠

والرياح أربع : وهي الصبا والدبور والشمال والجنوب ٠

والمكونات أربعة : وهي المعادن والنبات والحيوان والانسان ٠

وكذلك نشأت الجماعة في القرن الرابع ، وقسم أعضاؤها أنفسهم الى أربع مراتب ، وقسموا رسائلهم الى أربعة أقسام ، ومراجع علومهم أربعة أنواع من الكتب ، وآمنوا بنظرية العناصر الأربعة التى ابتدعها الاغريق ، ثم نظروا في الطبائع ، والأمزجة والفصول والجهات والرياح والمكونات فاذا بالرقم ٤ يدل عليها جميعا ، ولهذا جعلوا له شرف الصدارة عندهم ٠

على أن الرقم « ٤ » قد حظى بتقدير خاص فى العصر الحديث كذلك ، فقد كانت الابعاد التى نعرفها حتى عهد قريب ثلاثة ، وهى الطول والعرض والارتفاع ، حتى خرج علينا اينشتين في مطالع هذا القرن بالنظرية النسبية المشهورة ، وببعده الرابع ، وهو الزمن ٠

فقال : ان أبعاد أى جسم لا تتحدد تحديدا دقيقا الا به ، بل ان الابعاد الثلاثة الأخرى تتأثر بالبعد الرابع وهو الزمن تأثيرا قد يكون كبيرا أو صغيرا حسب الظروف ٠ وتبدو أهمية البعد الرابع ، بنوع خاص ، في حركة الافلاك ، ودوران الكواكب ، ومسارات الأجرام السماوية بالنسبة لبعضها البعض، وكذلك في حركات الصواريخ وقذائف الفضاء وسفن الفضاء ، والأقمار الصناعية ، ومساراتها ومداراتها ، حيث يلعب الزمن ــ وهو البعد الرابع ــ دورا كبيرا فى تحركاتها ، وعلى ذلك غدت الأبعاد أربعة كذلك وهى :

الاول ــ الطول

الثانى ــ العرض

الثالث ــ الارتفاع

الرابع ــ الزمن

وقد ظهرت أخيرا دلالة جديدة للرقم « ٤ » ، وهى مانسميه بالقوة الرابعة ، فقد كانت القوى المعروفة حتى عهد قريب جدا ، انما هى ثلاث ، وهى الجاذبية، التى تكلم عنها العلماء العرب مثل الادريسى ، والخازن وغيرهما ، بل منهم من ربط بين الجاذبية والسرعة والمسافة والثقل ، ثم وضح نيوتن هذه العلاقة بقوانينه المشهورة ، ولكن بعد العلماء العرب ببضعة قرون ، اما القوة الثانية ، فهى الكهرومغناطيسية ، التى عرفها العلم فى العصر الاخير ، ثم كانت القوة الثالثة : وهى القوة النووية ، ذلك المارد الجبار الذى فك من عقاله فعلا في سنة ١٩٤٥ ، باكتشاف القنبلة الذرية ، وكان فى القائها على هيروشيما ونجازاكى فى اليابان فصل الخطاب ، ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فور القائها ٠ ومنذ ذلك التاريخ (اغسطس سنة ١٩٤٥ تكشف صور عديدة للقوى النووية كل يوم ، وعرفت القنبلة الايدروجينية والقنبلة الكوبلتية، والصواريخ ذات الرءوس الذرية وغيرها ٠

وها هم العلماء ، يستكشفون أخيرا جدا ما أطلقوا عليه اسم « القوة الرابعة » وهى « النيوترينو » ، انه شبح جسيم جديد اكتشف مؤخرا فى الذرة ، وعرف مساره ، وقدر له من القوة مايمكن أن يقرن الى القوى الثلاث الأخرى ولعله متمم لها، وان كان العلماء مايزالون من أمره فى حيرة ، ينتظرون ما يأتى به البحث العلمى فى شأن هذه القوة من جديد ٠

وعلى ذلك غدت القوى هى الأخرى أربعا وهى :

الأولى : الجاذبية ٠

الثانية : الكهرومغناطيسية ٠

الثالثة : النووية ٠

الرابعة : النيوترينو ٠

وكذلك نرى كيف حظى الرقم « ٤ » بتقدير العلماء منذ أرسطو المعلم الأول للانسان الذى قال : ان العناصر أربعة الى اخوان الصفا ثم الى اينشتين ، فابطال القوة النووية ، وأخيرا الى مكتشفى النيوترينو

وما زال العلم يأتينا كل يوم بجديد ، ومن يعش ير ٠٠

« د ٠ عبد الحليم منتصر »

الكتب نقد وتعريف

بقلم : تحسين عبد الحي

الرسول القائد

« تأليف : محمود شيت خطاب »

يحتفل المسلمون بعد أيام ، بذكرى مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ففي مثل هذه الأيام ، ولد رسول الله كنقطة نور مضيئة في التاريخ الانساني ثم انبعثت بعد ذلك أشعة الشروق الروحاني من طفولته صلى الله عليه وسلم لتسرى في رفق ويسر الى صباه ، ثم الى شبابه ثم الى اكتمال النبوة في اكتمال رجولته ، وكان الله سبحانه وتعالى وهو يضع علمه وحكمته حيث يشاء يصنع بجليل صنعه وفائق قدرته هذا الوعاء الانساني العظيم الخالد المتفرد بالسمو الانساني لكي يكون متماثلا ومتكاملا مع الرسالة العظمى التى أكمل بها دينه وأتم نعمته للخلق . ولذلك جاءت مشيئة الله بمحمد ـ وفى محمد ـ بكل جارحة وكل نقطة دم تتماثل مع دين الله . وتتكافأ مع ما أمر الله به وما نهى عنه . وتتفاعل مع الارادة الالهية فيما أراده من جمال وخير وحب وتعاون وصلاح واستقامة لعباده في كل زمان ومكان .

كان النبي محمد الانسان المثال لكل ما أمر الله به وما نهى عنه . لم يخرج عن الاطار الجميل الذى رسمه مبدع الخليقة والكائنات قيد شعرة . فلم يقل أنه من قريش تفاخرا ولا ابن عبد المطلب اعتزازا ، ثم لم يقل بعد ذلك أنه خير الخلق وأنه رسول الله ونبيه ومختاره ومصطفاه تعاليا وتعاظما . وانما ردد ماقاله الله عنه « **انما انا بشر مثلكم** »

وروى مسلم في صحيحه : « انما أنا بشر مثلكم، اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشيء من أمر دنياكم فانما أنا بشر » .

ودعا نبينا العظيم ربه وهو **في أوج مجده : أن** يعيش مسكينا ويموت مسكينا ويحشر يوم القيامة في زمرة المساكين ..

ولقد عاش الرسول حياته الحافلة مناضلا من أجل دينه وتبليغ رسالة ربه .. فأوذى وهاجر وحارب وحكم بين الناس ولم يطلب لنفسه مجدا دنيويا زائلا .. ولكنه أرسى بيديه قواعد صلبة لمجتمع عربي اسلامي متحرر ، وحضارة عربية اسلامية مزدهرة خدمت بنزاهة وشرف قضية التقدم الانساني طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان . عندما لم يلغ الاسلام في انتشاره السلمى ماصنعه التاريخ من قبله ، بل طوره الى مستقبل أكثر غنى وأكثر خصوبة وأكثر تقدما .

فالامم التى أدركها الاسلام وقد اكتمل وجودها القومي ، كان الاسلام بالنسبة اليها اضافة أغنت تركيبها الداخلي وأمدتها بامكانيات جديدة لمزيد من التطور ولكنه لم يلغ قوميتها ، فظلت أمما مسلمة ، لها وجودها القومي ، ولها دولتها الواحدة ، وان كانت تلك الدولة مشتركة بينها وبين مجتمعات أخرى . أما المجتمعات التى أدركها الاسلام وهى في طور التكوين القومي ولم تصبح أمما بعد فقد أكمل الاسلام تكوينها أمة ، لم يكن الاسلام بالنسبة اليها عقيدة فحسب ، ولا اضافة الى مقدرتها على التطور فقط ، بل كان قبل كل هذا عنصرا من عناصر تكوينها القومي . كان جزءا من وجودها ذاته ، تحققت لها بالاسلام وحدة الارض ، ثم أخذت عنه لغتها الواحدة ، وصنعت في ظله تاريخها الواحد ـ في اتجاه المثل الأعلى الذى حدده لها ، فأصبحت بهذا كله أمة عربية واحدة .

ولا نريد هنا أن نسترسل في شرح الاسس الحضارية والملامح القومية المتميزة التي احتواها المجتمع الاسلامي ولكننا نريد أن نبرز دور نبينا العظيم في تاسيس هذا المجتمع وهذه الحضارة العربية الاسلامية · ونود هنا أن نؤكد على نقطتين هامتين :

أولاهما : ان القول : بأن غاية القتال في الاسلام هي نشر الدعوة هراء لا يستند الى الواقع ولكن غاية القتال هي حماية حرية الدعوة · وشتان بين الغايتين · ولم يقاتل الرسول عدوا الا مضطرا لقتاله ، وكل غزواته كانت لرد اعتداء او لاحباط نية اعتداء ، وفي عهد الرسول انتشر الاسلام انتشارا عظيما بعد صلح الحديبية وقت السلم، ومن التاريخ المعاصر نجد أن الاسلام قد ضاعف نفسه أكثر من عشرين مرة في داخل افريقيا في الثلاثينات · بلا حرب وبلا أية قوة مادية تسانده ·

ان السلام في الاسلام هو القاعدة الثابتة ، والحرب هي الاستثناء · ولكن الاسلام يدعو للسلام لا للاستسلام ·

وثانيتهما : ادعاء المتعصبين للاسلام بأن انتصار الرسول كان بالخوارق والمعجزات ادعاء خاطيء لا يقل خطورة عن غمز المتعصبين على الاسلام ، ولا يدل الا على جهل بروح الاسلام الصحيح ، تلك الروح العلمية الواقعية التي ترتكز على الحق الواضح والعقل السليم ، لا على الخيالات والأوهام ·

اما انتصار الرسول في كل معركة خاضها فيرجع للاسباب التالية :

قيادة عبقرية هي قيادة محمد ، وجنود ممتازون هم المسلمون الأولون وحرب عادلة هي حرب المسلمين لأعدائهم ، وأخيرا تردى الحالة العسكرية لأعداء المسلمين من العرب والروم والفرس ·

وكتاب اليوم «الرسول القائد» يعتبر ردا وافيا على الملاحظتين السابقتين حيث يدرس المعارك والغزوات التي قادها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ من الناحية العلمية والعسكرية والقيادية مبينا دور الرسول القائد في الاعداد للقتال «المساهمة الايجابية فيه ثم سياسة الرسول العسكرية التي كانت تبتكر قبل أن تقلد وتفكر في أسوأ الاحتمالات قبل أحسن الظروف ·

يقول المؤلف :

لقد برزت شجاعة الرسول الشخصية في كل معاركه التي خاضها ، وفي كل اعماله العسكرية وغير العسكرية على حد سواء ، ففي قراره قبول معركة بدر الكبرى ، وهي أول معركة حاسمة خاضها المسلمون رغم قلتهم العددية ، مع اعتبار أي فشل للمسلمين في هذه المعركة قد يقضي على مستقبل الاسلام ، وصموده تجاه عشرة آلاف من الاحزاب في غزوة الخندق شجاعة نادرة أيضا خاصة بعد نكث اليهود لعهودهم · فأصبح الخطر يهدد قوات المسلمين من خارج المدينة ومن داخلها · ونزل في غزوة بدر الكبرى ليباشر القتال بنفسه ، وفي « احد » كافح مع جماعة من أصحابه للخروج من الطوق الذي أحاطهم به المشركون ، فاستطاع أن يخلص المسلمين من فناء أكيد ، ولم يكتف بذلك بل قام بمطاردة قريش الى موضع «حمراء الاسد» ·

ولو لم يصمد الرسول مع عشرة فقط من أصحابه يوم حنين لاستطاعت هوزان وثقيف أن تبيد المسلمين ·

وعرف الرسول نفسيات واستعدادات أصحابه ، لأنه كان يعيش بينهم كفرد مزايا الجميع ، وكلف كل السراء والضراء · عرف مزايا الجميع ، وكلف كل واحد منهم بواجب يتفق مع قابليته البدنية والعقلية ، ولذلك استطاع اكثر أصحابه انجاز مهامهم بكفاءة واتقان · لقد كان الرسول يعرف أن بين أصحابه شجعانا وأبطالا فكلفهم بواجبات تحتاج الى الشجاعة كأبي دجانة ، وكان يعرف أن بين أصحابه من لا يقوى قلبه على الحرب كحسان بن ثابت ، فتركه مع النساء يوم أحد والخندق واستفاد من شعره البليغ للدعاية ، وكان يعرف أن من بينهم صاحب الراى والمشورة ، ومن يستطيع قيادة غيره ، «من لا يستطيع ان يكون اكثر من جندي بسيط ، فكلف كل واحد من هؤلاء بواجب يستطيع انجازه ·

وكانت للرسول قابلية بدنية فائقة ، ولذلك كان يلجأ اليه أصحابه عند حفر الخندق كلما استعصت عليهم صخرة فيسرع اليها لتحطيمها ، حيث تتفتت تحت وطأة مطرقته التي يهوى بها ساعده القوى ·

يضاف الى ذلك أنه حفر بيديه وحمل الاحجار والاتربة على عاتقه قال البراء بن عازب : « كان رسول الله ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه » ·

وشارك الرسول أصــــحابه في حراساتهم وفي استطلاعاتهم وفي مسيراتهم الطويلة الشاقة في كافة فصول السنة ، وأظهر في ذلك تحملا وجلدا يعجز عنه أقوى اصحابه • ففي مسير الاقتراب الى بدر ، قســـم الابل المتيسرة وعددها ســبعون بعيرا بين أصحابه ، وكان من نصيبه مع علي بن أبي طــالب ومرثد بن أبي مرثد الغنوى بعير يعتقبونه ، تماما كما يفعل أى فرد من أفراد قواته •

وقال شريكا الرســـول في البعير ، نحن نمشى عنك ، قال الرسول :

« ما انتما باقوى منى ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما »

وشارك الرسول أصــــحابه في طعامهم وشرابهم ولباسهم ، بل آثرهم بالنفيس منها واستأثر دونهم بالخشن • حمل الحجارة والتراب والجريد واللبن كأى فرد من المسلمين عند بناء المسجد في المدينة •

وكان الرسول يستشير اصحابه في كل المواقف التى لها اثر على مصالح المسلمين عسكرية كانت أو غير عسكرية • استشارهم في كل غزواته عدا غزوة الحديبية ، وأخذ بآرائهم حتى ولو كانت تخالف رأيه كما حدث فعلا في غزوة أحد ، فقد كان يرى البقاء في المدينة ، بينما رأى أكثرية أصحابه الخروج • أما أسباب عدم استشارتهم في غزوة الحديبية ، فلأنه كان يصر على نياته السلمية التى تؤمن له الاستقرار الضرورى لانتشار الاسلام ، وكان لبعد نظره المدهش يعرف أن نتائج الصلح ستكون خيرا شاملا للدعوة ، بينما كان أصحابه يريدون النصر العـــاجل قبـل أوانه •

وطبق الرسول أساليب جديدة في القتال، فطبق أسلوب القتـــال بالصفوف في بدر ، فتغلب بهذا الاسلوب على قوات قريش التى بلغت ثلاثة أمثـــال قوته لأنهم قاتلوا بأسلوب الكر والفر • وحفــر الخندق في غزوة الاحزاب ، ولم تكن العرب تعرف هذا الاسلوب ، وطبق أسلوب قتال المدن والاحراش في غــزوة بنى النضير وبنى قريظة وخيبر ، ومن المدهش حقا أن يطبق الرسول نفس الاسلوب الذى يطبق في الحرب الحديثة في مثل هذا القتال •

واستخدم الرسول المنجنيقات والدبابات الخشبية في غزوة حصار الطـــائف ، وكان استعمال هذين السلاحين نادرا عند العرب حينذاك •

وانتخب مقرا له في غزوة بدر ، مراعيا شروط انتخاب المقر وأمن حراسته كما يجرى في الحرب الحديثة

وقسم الاعمال وأمن السيطرة على انجازها ، كما حدث في حفر الخندق وقام بالهـجوم فجرا ، ذلك الهجوم الذى يحتاج الى كفاءة وتدريب ممتازين كما حدث في غـــزوة بنى المصطلق • وابتكر أسلوب الرسائل المكتومة ، على حين يفاخر الالمان في العصر الحاضر بانهم أول من ابتكروا هذا الاسلوب •

لقد كانت المدينة هي القاعدة الأمينة للمسلمين ولكنها كانت تعج بالاعداء والجواسيس مثل اليهود والمنافقين وعيون قريش من الاعراب وعيــون الروم من الانبــــاط • ولكن الرسول حرص على كتمان نياته حرصـــــا شديدا ، فكان اذا أراد غزوة ورى بغيرها فينقـــل هؤلاء الجواسيس تلك المعـلومات الخاطئة نقلا يؤدى الى بلبلة أفكار أعداء المسلمين • وكان يباغت أعداءه بذلك مثلما حدث في غزوة بنى لحيان • فقد تحرك الرسول بقواته شمالا في اتجاه الشام حتى لاتعرف قريش وبنو لحيان اتجاه حركته الحقيقي ، فلما انتشرت أخبار حركة المســـلمين الى الشمال عاد الرسول بقواته فجأة في اتجاه بنى لحيان وبذلك باغتهم في المكان ، وفي غزوة خيبر تحرك الرسول الى « الرجيع » قريبا من ديار غطفان بعد أن أرسل مفرزة صغيرة من قواته الى معسكر غطفان ، عاد بقـواته الرئيسية الى خيبر ، وبهذه الحركة أوهم غطفان بأنه يريدهم وأوهم يهود خيبر بأنه لا يريدهم ، فباغت الطرفين ومنع تعاونهما في قتال المسلمين • ومن أمثلة المباغتة في الزمان غزوة بنى قريظة ، اذ تحــرك الرســـول اليهم في وقت لا يتوقعونه ، فشل معنوياتهم واحتفظ بالمباداة حتى نهاية المعركة •

وحرص الرســـول أشد الحرص على الا يكشف نياته لأحد عندما اعتزم الحركة الى مكة وكان سبيله الى ذلك الكتمان الشديد ، فلم يبح بنيـــاته لأقرب أصحابه الى نفسه «أبى بكر» ولا الى أحب نسائه اليه «عائشة بنت أبى بكر» ، ولم تســتطع قريش ان تحصل على أى نوع من المعلومات في أى وقت كان قبل حركة الرسول واثناءها حتى وصـــل الى ضـــواحى مكة • ومن ثم فاجأ أعداءه بعشرة آلاف مقــاتل أمرهم أن يوقدوا النـــار جميعا حتى يرى المشركون مبلغ قوتهم وكثرة عددهم ، وأمر الرسول

بحبس أبي سفيان في مدخل جبل مكة حتى تمر به جنـــود المسلمين ، فيحدث قومه عما رآه عن بينة ويقين ، ولكي لا يكون اسراعه في العودة الى قريش قبل أن تتحطم معنوياته تماما سببا لاحتمـال وقوع أية مقـــاومة من قريش مهما يكن نوعهـا ودرجة خطورتهـــا • وفعلا اقتنع ابو سفيان بعد ان رأى قوات المسلمين كلها، أن قريشا لاقبل لها بالمقاومة•

وقد أدخل الرسول في حسابه أسوأ الاحتمالات أيضا ، عند تنظيم خطته لدخول مكة ، فطوقها من جهاتها الاربع بقوات مكتفية ذاتيا ولديها القدرة على العمل مستقلة عن القـوات الاخرى عند الحاجة ، وبذلك تستطيع القضاء على أية مقاومة في أية جهة من مكة ، في الوقت الذى يضمن فيه توزيع قوات المشركين على جبهات متعددة ومن ثم تكون ضعيفة في كل جبهة •

وعندما أعلن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بحسن تدبيره وثاقب بصـــيرته : من دخل دار أبى سفيان او أغلق عليه بابه أو التجأ الى البيت الحرام فهو آمن – كان يعنى بذلك منع تجمع الناس في مكان واحد للمقاومة •

لقد كان الرســول صلى الله عليه وسلم يعرف دائما مايريد ويعرف كذلك أين ومتى ينفذ مايريد • فقد قاد بنفسه ثمانيـا وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة – فقد خرج الى غزوة «ودان»

وهى أول غزوة قادها الرسول بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت غزة تبوك آخر غزواته في رجب من السنة الثامنة للهجرة •

وقـــد انتصر في كل غزواته – بل كان مجرد وجوده على رأس المسلمين سببا مباشرا لانتصارهم على أعدائهم • ان الذى يدرس غزوات بدر وأحد والخندق وحنين ويقـدر موقف المسلمين والمشركين العسكرى يستطيع أن يجد بوضوح الاثر الشخصي الفعال لقيادة محمد للمسلمين ، ذلك الاثر الشخصي الحاسم الذى ضمن النصر الأكيد للمسلمين والذى لولاه لتبدل وجه التاريخ الاسلامى عما هو معروف به الآن •

ولعلنا ونحن نحتفل بذكرى مولده صلوات الله وسلامه عليه أن نتخذ من سيرته البطولية مايساعدنا على أن نرى طريقنـــا بوضوح • واذا كان العالم العربى والاسلامي يعاني الآن في معظم أجزائه من عدم توافر القائد الموجه والزعيم المناضل فان في رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أسوة حسنة لكل من يريد أن يقتدى به •

« تحسين عبد الحى »

تعريفات

أبعاد غائمة

تاليف : محمد أحمد العزب

الناشر : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الكتاب الأول – ١٨ –

يحتوى الديوان على عشرين قصيدة تتفاوت بين القصر والطول• كتبها الشاعر على فترات متفاوتة وجمعها في هذا الديوان •

وضمن هذه القصائد العشرين اربع قصائد فازت في مسابقات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وهى :

١ – بلا صدى ١٩٦٠

٢ – بالغة اليانصيب ١٩٦١

٣ – خواطر عانس ١٩٦٢

٤ – مذكرات نشال سرق شاعرا ١٩٦٣

وتعتبر القصائد الاخرى في مستوى القصائد الفائزة ان لم تكن تفوقها شكلا ومضمونا – ومن هذه القصائد :

اغنية لعينيها ، رحلة صـــياد ، رســـالة الى فنان مجهـــول • مشردون ، غريب على الطريق ، ذكريات لاجىء ، ام وشهيد ، مات يوما ••

ويقع الديوان في ١٢٤ صفحة من القطع الصغير •

العرب في صقلية وأثرهم في نشر الثقافة الاسلامية

تاليف : يوسف حسن نوفل

الناشر : المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

يحتوى الكتاب على دراسة لتاريخ العرب الحضارى في جزيرة صقلية ، والدور الانسانى الخالد الذى حملته حضارة الاســـلام الى هذه الجزيرة طوال عدة قرون ، حيث حطمت فيها الجهـــل والجمود ، وبددت سجف الظلمة وعروش الاستبداد •

ويقع الكتاب في ٩٣ صفحة من القطع المتوسط •

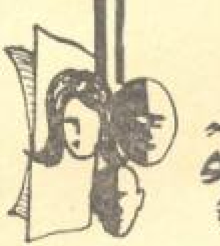
نماذج من النساء

تاليف : محمد زكى عبد القادر

الناشر : دار المعارف

الكتاب كما يقول المؤلف : نماذج من النساء ، رســـمتها من الواقع ، فيها سمات من تضحية تبلغ احيانا حد القداسة ، وفيها قلق يبلغ احيانا حد الانحدار ، ولكنها جميعا تصـــور نماذج من المرأة نلتقى بينا ونصادفها في كثير من الاحيان •

ويقع الكتاب في ١٤٢ صفحة من القطع الصغيرة في سلسلة اقرأ •



قراءات فى المجلات العربية

يقدمها محمد العوانى

فى ميلاد الرسول الأعظم

فى مطلع الاسبوع المقبل يحتفل المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى مولد الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، ففى مثل هذا الشهر منذ اربعة عشر قرنا ولد النبى الكريم فى عالم يموج فى بحار من الفوضى والاضطراب ، فكان العرب فى نزاع دائم وحروب مستعرة تتنازعهم دولتا الفرس والروم ، والجزيرة كلها سابحة فى ظلمات الأوهام ، عاكفة على عبادة اللات والعزى ومناة ، فلم يكن بد أن يجيء محمد صلوات الله عليه وسلم ، فيرفع أعلام الهداية ويفجر ينابيع الشريعة السمحة فى تلك القلوب التى كانت أشد صلابة من الصخر ويصير سكان صحراء الجزيرة قادة الأمم .

وليس هناك أدنى شك فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى أرسله ربه لينقذ الانسانية من هذا البلاء ، ويهديها الى طريق الحق ، ويرد اليها الامن والطمأنينة ، ويقيم العدل على اسس الانصاف والمساواة والاخاء « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

حرم صلى الله عليه وسلم من عطف الاب فقد مات والده وهو لايزال جنينا مستكنا فى بطن أمه ، ثم ماتت أمه وهو لما يبلغ السادسة من عمره ، وقد تولى الله تأديبه وتهذيبه ليضطلع بالامانة ويحمل الرسالة ويتم على يديه ما أراد الله لهذه الانسانية أن تصل اليه من الكمال .

ولقد كان من أهم العوامل التى جمعت القلوب حول دعوته ، ورغبت فى الالتفاف حول رايته ، والايمان بما يدعو اليه ما تحلى به من الاخلاق الكريمة التى دعا اليها واتصف بها ، فقد قالت عائشة عنه « كان خلقه القرآن » وحتى ان بعض المشركين حين سمع بأخلاقه قال « لو لم يكن هذا دينا لكان فى أخلاق الناس حسنا » . فهو صلوات الله وسلامه عليه لم يكن فظا غليظ القلب بل كان لينا متواضعا ، يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطى من حرمه .

ان الفكر ليزدحم بشتى الصور كلما اهل هلال ربيع الاول ، وتنهض الاقلام تدبج المقالات بمايناسب جلال هذه الذكرى وعظمتها ، وتولى كثير من المجلات الاسلامية هذه المناسبة اهتماما خاصا بما تنشره من المقالات الضافية ، ففى مجلة « الشبان المسلمين » كتب القائد العربى « عبد الله التل » مقالا عن موقف اليهود من محمد ودعوته فقال عنهم أنهم « كرهوا محمدا صلى الله عليه وسلم ونظروا اليه والى دينه

الجديد والى أتباعه نظرة الحسد والحقد والضغينة والبغضاء .

وظهرت عداوتهم لدين الاسلام واضحة جلية حينما رأوا الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، فكان لابد من الصدام بين دينهم الذى يتمثل فيه الغدر والاجرام والخيانة ، وبين الاسلام .. الدين الجديد » .

ثم يتناول حركات اليهود العدوانية ضد الاسلام وما أصابهم من الهزائم التى انتهت باجلائهم عن جزيرة العرب فى عهد عمر بن الخطاب فقال : « لقد تم تطهير الجزيرة العربية من اليهود الذين كانوا شوكة فى حلق الاسلام أول عهده ، فقد حاربوه دون هوادة ، مستخدمين جميع فنون الغدر والدس والحقد بعد أن أدركوا أنه دين الحق » .

ولقد تناول الاستاذ « محمد ابو زهرة » فى مجلة « لواء الاسلام » أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته فاشار الى أن أول صفة تخلق بها الرسول هى الصبر ، فقد كان « يؤذيه المشركون بكل أنواع الاذى فلا يتراجع ولا يتقهقر ، ينفصل عنه بعض اقربائه ويشتدون فى اللوم عليه فلا يلتفت الى لومهم وينزل به الأذى من كل ناحية ، وهو يصابر المشركين ويدعو الله أن يهديهم الى الحق ولا يدعو أن يخرب ديارهم . بل كان يدعو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده » أما « الاستاذ محمد الغزالى » فيذكر فى نفس هذه المجلة أن كثيرا من أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم تحتاج الى التدبر والتأمل وأنها بحاجة الى كثير من التفهم ، حتى تعرض على الناس قاطبة ، لأنه صلوات الله وسلامه عليه « ليس ملكا لجيل من الاجيال ، ولا لجنس من الاجناس ، انما صنعه الله على عينه ليكون ملك الاجيال كلها والقارات كلها فلو جليت صفحات نبله على من يكرهه وعلى من يحبه لأدرك الناس أنهم أمام أفق من الانسانية يجب أن يرمقوه باعزاز واجلال وان اختلف فى ذلك المؤمنون به والكافرون » .

وفى ختام هذا العرض نسأل الله سبحانه أن يوفق الأمة الاسلامية للعمل لخير الانسانية ، وأن يوحد صفوف العرب من أجل نصرتها واعلاء شأنها وأن يزيل من قلوبهم نوازع الفرقة والاختلاف حتى يصيروا يدا واحدة وصفا واحدا فتتطهر بلادهم من اليهود الغاصبين وتعود فلسطين العربية الحبيبة الى أصحابها الحقيقيين وأن تلحق باليهود الهزيمة كما لحقت بهم من قبل .

* تحرير فلسطين :

وتتحدث مجلة « الحرية » اللبنانية فى عددها الصادر فى ١٩٦٥/٦/٢١ عن الدور الذى تؤديه الجمهورية العربية المتحدة ازاء فلسطين فتقول : « ان مصر هى البلد العربى الوحيد الذى استطاع أن يقطع شوطا حاسما فى طريق توفير القوة الذاتية العربية اللازمة لتحرير فلسطين ، وليس فى الامر سر أو صدفة .

لقد قامت فى مصر ثورة وطنية أدارت ظهرها للاستعمار بشكل حاسم ،وحين فعلت ذلك استطاعت أن تحرر ارادتها وتنشد القوة من مصادرها الحقيقية وحين اسقطت ثورة مصر النظام الملكى الاقطاعى كانت تفتح بذلك طريق التقدم على مصراعيه ، ولم يكن بناء الجيش الوطنى القوى الا نتيجة للنهضة الصناعية والاقتصادية التى أثمرتها الثورة ، وللتقدم الذى حققته بسلاح التحول الاشتراكى .

وحين يقول عبد الناصر : ان العمل الثورى هو سلاحنا لتحرير فلسطين . فذلك معناه بشكل بسيط وواضح ان تحرير فلسطين مرتبط بالمسافة التى لابد أن يقطعها العرب نحو مزيد من التقدم الاجتماعى والوحدة القومية .

* العنصر العربى والحضارة العربية :

تركز الشعوبية الحديثة هجومها على الحضارة العربية وتحاول بحقدها الاسود ان تنتقص من قيمة النهضة العربية التى أضاءت العالم بنورها الوهاج . ويتلخص هذا الهجوم فى نقطتين رئيسيتين هما الادعاء بأن الذين نبغوا فى الدولة العربية الاسلامية لم يكونوا من عنصر عربى خالص ، وأن العرب والمسلمين لم يكونوا منشئى حضارة وانما هم مجرد نقلة لتراث من سبقهم من الامم .

وتنشر مجلة « الأقلام » العراقيــة مقــالا بعنوان « العنصر العربى والحضارة الاسلامية » يرد فيه سليم التكريتى على هذه الافتراءات ويفنـــد هذه المزاعم ويدحض هذه الاقوال .

فما يدعيه هؤلاء من أن معظم الرجال الذين برزوا فى العالم الاسلامى فى مختلف نواحى العلم والمعرفة كانوا من عناصر غير عربية مردود عليه بأن الحضارة العربية الاسلامية هى وليدة الدين الاسلامى الحنيف فى الأصل ، فقـــد انصهرت الأقوام المختلفة التى دخلت فى الدين الاسلامى بالعنصر العربى وتعلمت لغته وحذقت آدابه وتقاليده . فقد كان هؤلاء الرجال يتكلمون العربيةويفكرون بها ويكتبون، ويتحسسون بالمشاعر الاسلامية التى هى فى الاصل مشاعر عربية خالصة ومن هنا « لا يمكن الفصل بينهم وبين بقية العرب الخلص المنحدرين من أروقة عربية » . فعلماء الاسلام الذين عاشـــوا فى المجتمع العربى وكانوا يحذقون اللغـة العربيـة تكلما وكتابة انمـا هم فى الحقيقة عرب باللغة والمكان والاحساس وان لم يجر الدم العربى فى عروقهم .

أما ما تدعيه الشعوبية من أن العرب كانوا مجرد ناقلين لتراث من سبقهم من الامم كاليونان والفرس والهند وغيرهم فمردود عليه بأن العرب وان كانوا قد نقلوا هذا التراث الا أنهم لم يقفوا عنـد حدود النقل بل انهم طوروا تلك العلوم المنقولة بما ادخلوه عليها من اضافات وزيادات جعلتها علوما عربيــــة خالصة تكاد تنقطع صلتها باصولها القديمة .

ويكفى للدلالة على ما أسهم به الفـــكر العربى الاسلامى فى توطيد دعائم المدنية الانسانية وما أدته الحضارة الاسلامية من خدماتعظمى للجنس البشرى ما قاله المنصفون من المستشرقين مثل « سارتون » الذى يقول فى كتابه « مقدمة فى تاريخ العلم » .

« اذا افترضنا أن العرب لم يكونوا سوى نقلة العلوم الاقدمين اليس فى عملهم هـــذا خدمة كبيرة للعالم ؟ فلولا نقلهم هذا لما تقدمت العلوم تقدمهـــا الحاضر » .

ويقول « جوزيف ماك كيب » فى كتابه « مدنية العرب فى الاندلس » : « ان تاريخ العرب المسلمين عظيم وخدمتهم للجنس البشرى عظيمة جدا وهامة وقد غمط اكثر المؤرخين حقهم ، ولعبت ايدى الكتاب المتعصبين دورا عظيمـا ومكروا مكرا كبيرا فى اخفاء فضلهم ، فوجب على أن اخصص وقتى لتاليف ستة كتب كبرى على الاقل للاشادة بآثارهم » .

*** لم يبق الا الاعتراف :**

وفى العـدد السـابع عشر من مجـلة « حـوار » الصادر فى يوليو سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « لم يبق الا الاعتراف » وهو عنوان الديوان الذى أصـــدره أخيرا الشاعر احمد عبد المعطى حجازى ما يعبر عن أن الشاعر قد رجع فى هذه المجموعة الشعرية الى اشكال الشعر القديم لصلاحيته للمضامين الحديثة . تقول المجلة عن هذه المجموعة : وكل هذه القصائد هى تعبير مباشر عن قضايا سياسية آنية ، تفتقـــد الكبير من عفوية البيـاتى حين يتحدث اخبـاريا فى شعره ، حتى ان الرموز التى يستخدمها حجازى فى شعره واضحة بشكل تكاد فيه أن تكون تعبيرا مباشرا لارمزية فيه حتى ان الشكل قد عاد شكلا تقليديا خاضعا لرغبات الجماهير التى يريد الشاعر ان يتحدث اليها ، حتى الثورة على الشكل لم تعد ثورة، فاشكال قصائده اشكال تقليدية رتيبة فى كل بحور الشعر العادية وقوافيه . وبهذا يعود حجـــازى للاقتناع بصلاحية اشكال الشعر القديمة للمضامين الحديثة . غير اننا يجب أن نستدرك بقولنا: ان مضامين حجازى الاخيرة ليست حديثة أبدا الا فى المفهوم السـطحى للحداثة ، وهى ارتباط زمنى بالعصر الذى كتب فيه ، فأبعاد قصائده محدودة جدا والرؤيا الشعرية ضيقة بشكل يعطل ســياق القصيدة ، ويحصرها بصوره المتكررة المرتبطة بالموضـــوع المباشر الذى يعالجه بكلمات مقفاة موزونة » .

« محمد العوانى »

البريد الأدبى



ذكريات فى شهر ربيع الأول

بقلم عبد المنعم البحقيرى

عندما يقبل شهر ربيع الأول تقبل ذكريات معه طيبة الى نفوسنا عزيزة على المسلمين جميعا ولها أثرها فى تاريخهم وحياتهم ‥ هـــذه الحوادث غيرت وجه التاريخ وقررت حقوق الانسان وخلصت الانسانية من الأغلال والقيود وبنت صرح الحضارة الاسلامية الزاهرة وشاركت مشاركة بناءة فى حضارة العالم أجمع ·

ففى مثل هذا الشهر من عام الفيل سنة ٥٧٠ من ميلاد السيد المسيح وفى يوم الاثنين الثانى عشر ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمولده تحررت العقول والقلوب من دعاوى الجهل والفساد والوثنية ·

وفى مثل هذا الشهر كانت رسالته الى النـاس كافة بشيرا ونذيرا ومؤذنا بعهد جـديد وثورة على الشرك والنظام الطبقى والعـــادات البالية والتقاليد العتيقة ودعوة الى الاشتراكية والتوحيد ونشر مبادىء الاخلاق الفاضلة وتنظيما لعـــلاقة الحاكم بالمحكومين وعلاقات أفراد المجتمع بعضهم ببعض فى ظل الحرية والمساواة والاخاء والتراحم والبر والتعـــاون والحب والحنان والاتحاد والألفة والتكافل والتضامن وبذلك كانت أمته :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ·

وكانت دعوته صلى الله عليه وســـلم للناس كافة وكانت أمته هى الأمة صاحبة الدعوة الشاهدة على الأمم والشعوب فى الدنيا والآخرة ، ولقد اختارها الله لذلك فقال :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) ·

لقد طبقت دعوة محمد المساواة فلا فضل لأبيض على أسود الا بالتقوى ، بينما نرى اليوم وبعد سنين طويلة تعجز الدول التى تزعم لنفسها الحضارة والرقى كأمريكا وغيرها عن أن تطبق مبادىء المساواة ‥ المساواة التى تشـــيع فى القلوب الحب والحنان ، المساواة التى تبذر فى نفوس الأفراد الألفة والمودة والسير فى طريق البناء والتعمير ‥ فكانت دعوة محمد رحمة للمجتمع الانسانى ، وصدق الله حيث قال « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ·

واذا تتبعنا الحوادث التى اختص بها هذا الشــهر العظيم نجد معجزتى الاسراء والمعراج ‥ حيث رأى النبى آيات ربه وامتلأ قلبه بالثقة والاطمئنان ،وقدم للانسانية معجزة خالدة لصدق رسالته وســـمو معانيها ، وفى هذا الشهر الكريم كانت الهجرة النبوية

وكان الجهاد من أجل نشر الدعوة وكانت الرسالة بأجل معانيها ، فهي كما قلت ليست لقوم فقط بل للناس كافة ، ومن هنا كانت الهجرة ايذانا بانتشار الدعوة ورحمة للناس وتخليصا لهم من قيودها العتيقة ، فلولا الهجرة لظل الاسلام غريبا في وطنه يتيما بين أهله ، ولظل العالم على وثنيته الضاربة والجاهلية الجهلاء والفساد الشامل ومن هنا انتشر الاسلام وارتفعت رايته فوق البشرية .

وآخر المطاف كانت وفاة الرسول الكريم في هذا الشهر العظيم .. توفى الرسول بعد أن ترك لنا ميراثا عظيما . انها الديانة السمحة والشريعة الاسلامية الغراء وقدم الرسول للانسانية زادا عظيما فيه خيرهم وفلاحهم .. انه القرآن الكريم .. خير زاد وأعظم هدى قويم .

تحية اليك سيدى رسول الله في يوم مولدك ويوم بعثتك ويوم هجرتك ويوم مماتك .

تحية اليك سيدى رسول الله فهذه هي مبادئك السمحة نسير عليها .. لقد طبقنا الاشتراكية وسلكنا طريق المساواة والتضامن والتكافل .

تحية اليك سيدى رسول الله فمن سار على هديك فاز وفلح ، ومن تركه هلك وظلم نفسه .

سيدى .. يا رسول الله

بقلم عيسى متولى

نفحة من نفحاتك الطيبات ، نستلهمها في ذكرى مولدك الكريم ، الذى سعدت به البشرية جمعاء .. تضيء أمامنا السبل ، وتأخذ بيدنا الى المعارج التى نتطلع لها .. ونسعى اليها ! ..

فأنت يا سيدى خير من يهدى .. وأنت يا سيدى خير من يرشد الى الصراط السوى ، والطريق القويم ..

وأنت يا سيدى خير من يأخذ بيد الحيارى ، وسط الظلمات التى تكتنف حياتهم ، وتغشى قلوبهم وأبصارهم !

وأنت يا سيدى خير من يهدى الضالين ، الذين تفرقت بهم السبل ، واتبعوا أهواءهم ، وكان أمرهم فرطا ... الذين ان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ! ..

سيدى .. يا ابن عبد الله ..

لقد حملت الى البشرية رسالة الهدى .. فمالهم لا يهتدون .. ومالهم عن الصراط ناكبون ؟ ..

وحملت الى البشرية رسالة الرحمة .. فما لهم لا يتراحمون .. ثم قست قلوبهم من بعد ذلك ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة .. وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما يهبط من خشية الله ...

وحملت الى البشرية رسالة السلام .. فما لهم قد أصموا آذانهم عن دعوتك .. وأججوا نيران الحروب ، فاتخذوها تجارتهم .. فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ...

وحملت الى البشرية رسالة الانسانية الفاضلة .. فما لهم لا يستجيبون .. لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها .. فانغمسوا في حمأة الرذيلة يوم نأوا عن دعوتك .. وبهرتهم أضواء مدنية زائفة .. يسمونها « حضارة » ! ...

سيدى .. أبا القاسم ..

لقد تخرج على يديك رجال دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه ، وامتد سلطانهم .. نصروا الله فنصرهم ، وثبت أقدامهم ، ومكن لهم في الارض ، لأنهم استجابوا لدعوتك .. واتبعوا سبيلك ! ..

سيدى .. أبا الزهراء ...

سلام عليك ، يوم زفت السماء الى الأرض بشرى مولدك .. فكانت أسعد البشريات ! ..

وسلام عليك ، يوم حملت مشاعل النور ، وأرسيت مبادىء لم تعرف البشرية أكرم منها وأقوم ! ..

وسلام عليك ، يوم انتقلت الى الرفيق الأعلى ، تاركا فينا قبسين من النور لن يخمدا ..

كتاب الله الوضاء .. وسنتك الغراء .. ووعدت من يتمسك بهما بانه لن يضل ، ولن يخزى ! ..

فاللهم انا نعوذ بك من الخزى .. ومن الضلال !

من ملحمة عمر

سر المقوقس

مسرحية بقلم : علي أحمد باكثير

المشهد الرابع :

(بهو في حصن بابليون . المقوقس وعنده قواد الروم في مصر كأنه يعقد معهم مجلسا حربيا للتشاور)

الأطربون : واحسرتاه على يوم القلزم

المقوقس : ما مضى فات يا أطربون

الأطربون : كلا يا سيدى البطريق تلك زلة لا ينبغى أن ننساها أبدا

المقوقس : لا يستطيع أحد أن يجزم بأنها كانت زلة

الأطربون : بل كانت زلة كبيرة

المقوقس : تذكر أن طلائع الجيش العربى كانت قد جاوزت العريش يومئذ فى طريقها الى الفرما

الأطربون : وتذكر أن سفننا وعليها ثلاثون ألفا كانت متأهبة يومئذ للاقلاع من القلزم فلو تركتمونا لبلغنا ساحل بلادهم قبل أن يبلغ جيشهم الفرما ،واذن لربما سقطت عاصمتهم في أيدينا قبل أن تسقط الفرما فى أيديهم .

المقوقس : وما يدريك يا أطربون ماذا كان مخبوءا لكم فى صحراء بلادهم ؟

الأطربون : بل كنا سنجدها خالية من المقاتلين لان هؤلاء موزعون فى بلاد الشام والجزيرة والعراق

المقوقس : أجل لقد أجمعنا على هذا الرأى فى مجلس قيصر ولكن ما كان يدور ببالنا يومئذ أنهم سيسبقوننا الى غزو مصر . أما وقد دخلوا أرضنا فليس من الحكمة أن نتركهم فى أرضنا ونقاتلهم فى أرضهم

تيودور : هذا واضح جدا يا أطربون لا جدال فيه .

الأطربون : وماذا كان يمنعكم من قتالهم وقد بقى عندكم ثمانون ألف مقاتل ؟

تيودور : أكنت تريد أن نسحب حاميتنا من مسالحها ؟

اودوقيانوس : أوما تخشى عليها من القبط ؟

الأطربون : ماذا عساهم أن يفعلوا وليس معهم سلاح ؟

اودوقيانوس : سلاحهم فى قلوبهم التى يأكلها الحقد علينا أكلا . ألم تر ماذا فعلوا في الفرما ؟ ما كان العرب ليقدروا عليها ويقتحموا أسوارها المنيعة لولا معاونة أهلها القبط

الأطربون : أوقد صدقتم هذه الفرية التى اختلقتموها بأنفسكم لتتنصلوا من تبعة الهزيمة ؟ لقد حاصرها العرب شهرا كاملا فصبر حماتها على اللأواء فى انتظار وصول مدد منكم فلما يئسوا من المدد يئسوا كذلك من النصر فخرجوا مستقتلين فوثب العرب الى باب المدينة فملكوه عليهم ثم اقتحموه .

تيودور : يخيل الى أن الأطربون يريد أن يعزو كل هزيمة لحقتنا أو تلحقنا الى مخالفتنا لرأيه السديد .

الأطربون : أجل . ما كانت الفرما لتسقط فى أيدى العرب لو انكم عملتم برأيى ولم تتركوها بغير مدد .

تيودور : ليس من الرأى أن نقاتل هؤلاء العرب فى الصحراء فلو أرسلنا المدد الى الفرما لباد ذلك المدد ولسقطت الفرما كذلك .

الأطربون : هذه كانت الزلة الثانية

تيودور : عجبا لك يا أطربون . أوتعد كل رأى يخالف رأيك زلة ؟

اودوقيانوس : واعجب من ذلك أنه عارض مسير الجيش للقاء العدو فى بلبيس

تيودور : أجل . ما زلت يا أطربون تحرض على حرب العرب تارة في بلادهم وتارة في الفرما فلما أزمعنا أن نلاقيهم دون بلبيس قلت انتظروا حتى نبعث اليهم رسلا ليفاوضوهم

الأطربون : سترون غدا ان ذلك هو وجه الصواب

تيودور : لا غرو أن تقول ذلك لاننا عملنا برأيك

الأطربون : أنكم لا تعرفون قائدهم عمرا هذا . انه يقاتل بالمكر والدهاء أكثر مما يقاتل بالسيف

تيودور : لهذا تركنا لك أن تتولى أمره لنرى ماذا أنت فاعل

الأطربون : سترون غدا ما أنا فاعل

المقوقس : خبرني يا أطربون أليس عمرو هذا هو صاحبك الذي خدعك في حصن اجنادين ؟

الأطربون : (في شيء من الامتعاض) بل هو بعينه

اودوقيانوس : خدعك .. كيف خدعك ؟

المقوقس : قصة مشهورة ألم تسمع بها قط يا أودوقيانوس

اودوقيانوس : لا والله

المقوقس : حضر عمرو هذا ذات يوم عند الاطربون في حصن اجنادين يفاوضه فعرف الاطربون أنه أمير جيش العرب ...

الأطربون : كلا يا سيدي البطريق ما عرفته ولكن أحسست من حديثه وسلوكه أنه هو الأمير أو من يرجع الأمير الى رأيه ومشورته

اودوقيانوس : ولماذا لم تقطع رقبته ؟

الأطربون : بعثت في أثره من يقتله عند الباب

اودوقيانوس : فكيف بقي حيا حتى اليوم ؟

الأطربون : (يفقد صبره) أوه . احك له القصة يا سيدي البطريق

المقوقس : لم يشعر الأطربون الا بهذا الماكر يرجع اليه ويقول له ماذا قال لك يا أطربون ؟

الأطربون : سيفاطمني هذا المثل الثقيل .

اودوقيانوس : كلا لن أتفوه بكلمة

الأطربون : قال لي : اني اقتنعت بحديثك ولكن الأمر ليس لي وحدي فنحن عشرة يرجع الى رأينا أمير الجيش، فان شئت جئتك بهم جميعا حتى تكلمهم بمثل ما كلمتني فتقنعهم كما أقنعتني . فاني لا أستطيع اقناعهم وحدي . فأمرت بالكف عنه حتى يجيء بالتسعة الباقين فأقتلهم جميعا .

اودوقيانوس : تلك هي الزلة الكبرى يا أطربون . لو كنت مكانك لقتلته ولما انتظرت التسعة الباقين

الأطربون : الآن بعد ما علمت أنه خدعني ؟

اودوقيانوس : ما كان لك ان تأتيها وانت عندنا من الموصوفين بالدهاء والمكر

الأطربون : (ساخرا في حنق) يا عزيزي أودوقيانوس لم يهبني الله ما وهبك من الذكاء والفطنة)

اودوقيانوس : اذن فلا تتشامخ علينا بحكاية هذه القصة فانها تدل على نقيض ما تزعمه لنفسك

الأطربون : أتريد يا هذا أن تستفزني ؟ ان كلماتك الجوفاء هذه أهون عندي من ذلك

اودوقيانوس : (للمقوقس وتيودور) خبراني أنتما هل تعتقدان أن هذا القائد العربي رجل داهية ؟

الاثنان : لا شك في ذلك !

اودوقيانوس : فكيف اذن وافقتما على اسناد قيادتنا في حربه الى الأطربون ؟

تيودور : انه يعرف الرجل خيرا منا جميعا فقد كان خصمه في فلسطين

اودوقيانوس : المهم أن يغلب خصمه لا أن يعرفه

المقوقس : لا تستطيع أن تغلب خصمك الا اذا كنت تعرفه حق المعرفة

(يدخل جورج قائد الحصن)

جورج : الأسقفان يا سيدي البطريق قد حضرا من بلبيس

المقوقس : مرحبا بهما .. أدخلهما يا جورج

جورج : أبا مريم .. حنا .. أدخلا

(يدخل أبو مريم وحنا)

المقوقس : خبراني كيف لقيكما القائد العربي ؟

ابو مريم : حيانا ولقينا أحسن لقاء

تيودور : وأين لقيكما

ابو مريم : في خيمة ضربت له خارج بلبيس حيث عسكر برجاله

المقوقس : أبلغتماه رسالتي ؟

ابو مريم : نعم

المقوقس : فماذا قال ؟

ابو مريم : قال ان عظيمكم المقوقس ليعلم أننا ما جئنا لنستجدي منكم وانما ندعوكم الى الاسلام ، فمن

أجابنا قتلناه ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية وبذلنا له المنعة ٠ قلنا له:ومن لم يجبكم ؟ قال: قاتلناه حتى يحكم الله بيننا وبينه ٠ ثم أخذ يحدثنا ان نبيهم محمدا اعلمهم انهم سيفتحون بلادنا وأوصاهم بنا خيرا لرحمهم فينا وان لنا بذلك ان أجبناهم ذمة الى ذمة ٠

تيودور : أى رحم يعنى ؟

ابو مريم : يعنى أن هاجر ام اسماعيل من القبط واسماعيل ابو العرب ، فهاجر ام العرب

تيودور : فماذا قلتما له ؟

ابو مريم : اتذكر يا حنا ماذا قلنا له ؟

حنا : نعم قلنا له : هذه قرابة ما أبعدها !

(يقهقهون ضاحكين ما عدا المقوقس وجورج)

المقوقس : ثم ماذا ؟

ابو مريم : ثم سألناه أن يمهلنا حتى نعود اليه بما استقر عليه رأيكم فأبى ان يمهلنا غير ثلاثة أيام فراجعناه فى المهلة فاعطانا يومين آخرين ٠

اودوقيانوس : اذن فقد اتفقتما رسولين لأقرباكما العرب !

الاسقفان : معاذ الله ٠ انما نحمل جواب العرب على رسالتكم

اودوقيانوس : لا لوم عليكما ٠٠ اللوم على من اقترح أن نفاوضهم حيث كان يجب أن نقاتلهم ٠

الأطربون : امتعطش أنت الى قتالهم يا أودوقيانوس ؟

اودوقيانوس : نعم

الأطربون : فاستعد للسير معنا الليلة !

الجميع : الليلة ؟

الأطربون : أجل

المقوقس : فيم العجلة يا أطربون ؟ ان لدينا اربعة أيام غير اليوم للتفكير والتدبير

الأطربون : ياسيدى البطريق انى قد فكرت ودبرت من قبل٠

ابو مريم : لكن هذا الذى جئنا به يعتبر هدنة ولا يصح فى خلالها ان يعتدى احد الطرفين على الآخر ٠

الأطربون أنتما لا يصح لكما ذلك ٠ فاما نحن فلم نرتبط لهم بشىء ٠

حنا : ليتنا ما طلبنا مد الهدنة ما دمتم تريدون المسارعة بالقتال

الأطربون : كلا ان هذا الذى فعلتماه لأفضل شىء فعلتماه فى حياتكما كلها ٠ لقد بثثتما الطمأنينة فى نفوسهم فلنبيتنهم الليلة بغتة وهم لا يشعرون ٠

اودقيانوس : مرحى يا اطربون ٠ الآن أدركت انك أصلح من يقودنا فى حرب هذا الرجل ٠

ابو مريم : هذا غدر لا يليق بنا نحن أتباع السيد المسيح٠

الأطربون : أليس ذلك أفضل من أن ندع هؤلاء يقضون على دين المسيح فى مصر ؟

ابو مريم : كلا انهم لن يقضوا على دين المسيح فى مصر كما لم يقضوا عليه فى الشام ٠

الأطربون : ماذا تقول ؟ أأنت مع العدو علينا ؟

حنا : (كأنه يسرع لنجدة رفيقه) ان أبا مريم يقصد ان دين المسيح لا سبيل الى القضاء عليه أبدا ٠ لا فى مصر ولا فى غير مصر

ابو مريم : أجل هذا ما أردت ان اقوله

الأطربون : لا تحاولا أن تخدعانى فانى لا أخدع ٠٠ أنتما خائنان

اودوقيانوس : أجل هذه خيانة

المقوقس : رويدك يا أطربون : رويدك يا أودوقيانوس ٠

لا حق لكما أن تمسا رجال الدين ٠ أن قيصر نفسه ليحترمهم

اودوقيانوس : قيصر لا يحترم الخائنين ٠

المقوقس : ان الذى يدعو الى آداب المسيحية ومثلها العليا لا يمكن أن يعتبر من الخائنين

الأطربون : لسنا الآن فى كنيسة فنستمع الى نصائحهما الدينية ٠ نحن الآن فى حرب مع هؤلاء الغزاة فما دخولهما فيما لا شأن لهما به ؟

المقوقس : ان عليهما أن يبشرا بآداب المسيح حيثما كانا ، داخل الكنيسة وخارجها ، ولكما أن تعملا بها أو لا تعملا بها هذا شأنكما أنتما ولكن ليس لأحد أن يمنعهما من القيام بواجبهما أو يلومهما على ذلك ٠

الأطربون : يا سيدى البطريق أولستم قد أسندتم القيادة الى فى حرب هذا المتغلب العربى ؟

المقوقس : بلى

الأطربون : فانى لا أقبل أى اعتراض لا من رجال الدين ولا من غيرهم ٠ لى عليكم السمع والطاعة ولكم على الغلبة والنصر ٠

• على احمد باكثير •



العدد ١٠٣
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر